في ظلال السنة

د. محمد رفعت زنجير

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة دراسات حضارية استراتيجية (1)

في ظلال السنة

(قراءة فكرية أدبية تستشرف الفقه الحضاري للسنة النبوية
في مختلف جوانب الحياة الإنسانية وقضاياها الاستراتيجية).

بقلم:

د. محمد رفعت زنجير

عضو هيئة التدريس بجامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا
والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سابقا

الطبعة الأولى
2003م
دار التوفيق
دار اقرأ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقـــــــــــــدمة

الحمد لله الذي أكرم البشرية ببعثة خير البرية نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وامتن على عباده المؤمنين بأن هداهم للإيمان، فقال عز من قائل: (لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[1].

والصلاة والسلام على رسوله الأمين، خير من دعا البشرية إلى النور المبين، وبنى الحضارة على الخلق والدين، وأرشد الإنسان إلى السعادة الأبدية، وجعل من رعاة الإبل والغنم قادة لدرب العلم والمدنية، وقدم كل التضحيات فداء للإنسانية، حتى عاتبه ربه من شدة حرصه على هداية الناس لرفعهم من الحياة البهيمية إلى أفق الحياة الربانية، فقال عز وجل: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)[2]. اللهم صل على نبيك الأمي محمد وعلى أصحابه الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن السنة النبوية الصحيحة هي شرح وتفصيل لمجمل القرآن الكريم، لا يرفضها مسلم، ولا يستغني عنها عاقل، وهي تحمل الخير والصلاح للإنسان في كل زمان ومكان، فهي ليست مخصوصة بزمان معين أو بيئة معينة، وليست اجتهادا شخصيا من الرسول، وإنما هي وحي كما هو حال القرآن، ولكن لفظها من عند النبي ﷺ، والقرآن وحي بلفظه ومعناه.

والسنة الصحيحة لا تتناقض مع العقل أو العلم، وإذا أشكل على الناس فهم بعض أحاديثها لما قد يبدو بأنه مناقض للمعارف الحديثة، فإنما سببه هو الجهل في اللغة العربية وطرائق تعبيرها، والفهم السقيم الذي ابتلي به بعض الناس، يقول المتنبي:[3]

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

ونحن نؤمن إيمانا مطلقا بالقاعدة الذهبية التي تقول بأن صحيح المعقول لا يتناقض مع صحيح المنقول، لأن العلم والوحي مصدرهما واحد، وهو الله الذي علم بالقلم، وعليه فنؤكد على ضرورة التمسك بالسنة الصحيحة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لأن التمسك بها فضلا على أنه يهدي إلى الجنة، فهو يهدينا إلى الرشد في أمور دنيانا أيضا، وينقذنا من أزمتنا الحضارية المعاصرة، ويدفع بنا في درب التقدم والنجاح.

---

[1] – سورة النساء، الآية (164).

[2] – سورة الكهف، الآية (6).

[3] – مختارات البارودي، (40/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معنى الحضارة

الحضارة مشتقة من مادة (حضر)، وتعني التواجد والتلاقي بين الناس، أو هي كما ذكر صاحب القاموس الفيروز آبادي: "الحضارة: الإقامة بالمدن".[1] وهذا التلاقي فيه خير للفرد والجماعة على حد سواء، وتفرضه ضرورة الحياة وفطرة الإنسان، فالإنسان بالتعايش مع غيره يحقق ما لا يحققه منفردا، من أمن وحياة راضية.

الحاجة إلى الدين والتشريع

والتعايش بيين الناس لا بد أن تحكمه قوانين ومبادئ، ومن هنا كانت الشرائع والأديان ضرورة لحياة الإنسان، لتوجهه نحو الكمال، وترسم له سبيل السعادة، وتبعده عن كل ما يهدد امنه ومستقبله ووجوده.

مقياس الحضارة

تنوعت مذاهب الناس في إيجاد مقياس للحضارة، فمنهم من يرى أن يكون النمو الاقتصادي هو الدليل على مقدار الرقي الحضاري، ومنهم من يجعل مقياسه لذلك العلم أو الفنون أو التقدم السياسي والاجتماعي، وهذه المقاييس في نظرنا قاصرة جميعا، لأن المقياس الصحيح للحضارة هو صناعة الإنسان. ونقصد بذلك إيجاد الإنسان الصالح الذي يقوم بالتزاماته، ويشعر بمسئولياته نحو الآخرين، فمثل هذا الإنسان هو الدليل على الحضارة، و لم تستطع إيجاد مثل هذا الإنسان إلا الأنبياء والرسل عليهم السلام من خلال إقامة منهج الله في الأرض.

وأما النمو الاقتصادي فقد يتعثر أو يمر بمرحلة الركود، وكم بادت أمم بسبب عشقها للمال وتنافسها فيه واقتتالها عليه؟! وأما العلم فهو لا يستطيع بمفرده أن يقود سفينة الحياة إذا لم تساعده الأخلاق، ويقف إلى جانبه أهل الإيمان، وأما التقدم بالفنون والسياسة ونحو ذلك فهو أمر حسن، ولكنه لم يوفر للإنسان الأمن مطلقاعلى وجه الأرض، و لم يصنع لنا إلا الإنسان الجشع الذي يؤثر مصلحته فوق مصلحة الناس قاطبة، فلا سبيل إذا لقياس الحضارة بالنمو الاقتصادي والجياع يلتفون من كل صوب حول ذاك الجشع، ولا بالنمو السياسي الذي جعل من السياسة وحشا هدفه السيطرة والمصالح الاقتصادية، ولا بالفنون الهابطة التي يصور بعضها نزوات الإنسان البهيمية بأحط أشكالها، ولكن يكون المقياس بصناعة الإنسان الذي يحب للآخرين ما يحب لنفسه، ويحمل الحب في نفسه للطبيعة والناس وكافة المخلوقات الحية، ومثل هذا الإنسان هو الدليل على الرقي والتقدم الحضاري وهو ما نجح فيه محمد رسول الله ﷺ، وذلك حين جعل من رعاة الغنم رعاة للأمم، ومن عرب الصحراء هداة لشعوب العالم في الشرق والغرب على حد سواء.

---

[1] – انظر: القاموس المحيط، مادة (حضر).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموقف من الحضارة الغربية

لقد فتن كثيرون منا بالحضارة الغربية، فرأوا أنه لا سبيل للشرق إلا اتباع الغرب في كل شيء، (وأن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب)[1].

بيد أن هذا التقليد الأعمى للغرب أمر معيب حقا، ولا يليق بأمة الأحرار، يقول المنفلوطي: (إن كان لا بد من الدعوة إلى إصلاحها ــ يعني المدنية ــ فلندع باسم المدنية الشرقية لا باسم المدنية الغربية.. إن دعوناهم إلى الحضارة فلنضرب لهم مثلا بحضارة بغداد وقرطبة وثيبة وفينيقيا، لا بباريس ورمية وسويسرا ونيويورك، وإن دعوناهم إلى مكرمة فلنتل عليهم آيات الكتاب المنزلة، وأقوال أنبياء الشرق وحكمائه، لا آيات روسو وباكون ونيوتن وسبنسر، وإن دعوناهم إلى حرب ففي تاريخ خالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وموسى بن نصير، وصلاح الدين، ما يغنينا عن تاريخ نابليون وولنجتون، ووشنطون، ونلسون، وبلوخر، وفي وقائع القادسية، وعمورية، وإفريقية، والحروب الصليبية، ما يغنينا عن واترلو، وترافلغار، واسترليتز، والسبعين).[2]

ما نأخذه من حضارة الغرب

وليس هذا يعني الانغلاق وعدم أخذ العلوم النافعة والصناعات من الغرب، يقول عبد الوهاب عزام: (إذا أحسنا التفكير عرفنا فرق ما بين الصناعات والأخلاق والعادات، و لم يلتبس علينا ما نأخذ من أوروبا من العلوم الطبيعية ونتائجها، وما نتجنب من أخلاقها وآدابها، فإنه لا فرق بين الحساب والهندسة والكيمياء في الشرق والغرب، ولكن شتان ما بينهما في العقائد والخلق وسنن الاجتماع، وما يتصل بذلك. فإن لكل أمة من أخلاقها وآدابها ثوبا حاكته القرون، وعملت فيه الأجيال، فليس يصلح لغيرها، ولا يصلح لها غيره).[3]

أثر الدين في الحضارة المعاصرة

إن الإسلام هو روح المدنية والحضارة، وبفضله قامت المدنية المعاصرة، وهذه حقيقة وليست شعارا، والتأمل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ترشدنا إلى ذلك، والتاريخ خير شاهد على هذا، وقد كتب كثيرون من فضلاء هذا العصر عن هذا الموضوع دراسات منهجية جادة تثبت ما ذكرناه، وبخاصة ما كتب حول القرآن الكريم لأنه دستور الدعوة الأول، وبتأثيره تطورت المعارف والعلوم، وفي هذا الصدد يقول الرافعي: (وليس يرتاب عاقل، ممن يتدبرون تاريخ العلم الحديث، ويستقصون في أسباب نشأته، ويتشبثون عند الخاطر من ذلك إذا أقدموا عليه، وعند الرأي إذا قطعوا به، أنه لو لم يكن القرآن

---

[1] – هذا هو كلام الدكتور طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر). انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، (229/2)، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1392هـ/1972م.

[2] – من مقال بعنوان: المدنية الغربية، انظر: الفنون الأدبية وأعلامات في النهضة الحديثة، أنيس المقدسي، ص (289)، دار العلم للملايين، بيروت.

[3] – انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، (207/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكريم لكان العالم اليوم غير ما هو في كل ما يستطيل به، وفي تقدمة وانبساط ظل العقل فيه، وقيامه على أرجائه، وفي نموه واستبحار عمرانه، فإنما كان القرآن أصل النهضة الإسلامية، وهذه كانت على التحقيق هي الوسيلة في استبقاء علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها، وإطلاق العقل فيما شاء أن يرتع منها، وأخذه على ذلك بالبحث والنظر والاستدلال والاستنباط...وهذا كله كان أساس التاريخ العلمي في أوروبا، فما من موضع في هذا الأساس القائم إلا وأنت واجد من دونه قطعة من الآداب الإسلامية، أو العقول الإسلامية، أو الحضارة الإسلامية، فالقرآن من هذا الوجه إنما هو الباب الذي خرج منه العقل الإنساني المسترحل، بعد أن قطع الدهر في طفولة وشباب).[1]

وأما ما كتب حول السنة في عصرنا فكان معظمه مندرجا مع بحوث الثقافة الإسلامية اللهم إلا ما ورد في بعض الكتب مثل قبسات من الرسول للأستاذ محمد قطب، ومن كنوز السنة للصابوني ونحوها، ونحب أن نؤكد هنا على أمور خمسة:

الأول: أمية الرسول، فما نجده من قيم حضارية وسنن اجتماعية في السنة النبوية لا يتأتى لرجل أمي، فهو وحي من الله تعالى، وإن كان لفظه من عند النبي عليه السلام.

الثاني: أمية البيئة العربية، فهي بيئة ليست فيها المدارس أو الفلسفة والعلوم التي كانت لدى الهند والفرس والروم، وكانت علوم العرب متواضعة إذا ما قيست بما لدى جيرانهم من الأمم الأخرى، و لم يبرعوا إلا في الشعر والبيان، وهذا ينفي أن يكون محمدا عليه السلام قد استفاد هذه العلوم من البيئة، وإنما كان الذي أوتيه وحيا من الله.

الثالث: بما أن التوجيهات النبوية الكريمة ليست إفرازا للواقع أو صورة عنه، وإنما هي وحي من السماء، فهي صالحة لكل زمان ومكان، إذ ليست أسيرة واقع معين أو جامدة عند زمن معين، وإنما هي للإنسان حيث كان ووجد.

الرابع: هذه التوجيهات النبوية الكريمة هي عماد كل حضارة راشدة عبر التاريخ، وينبغي الاسترشاد بها لما فيه مصلحة الناس جميعا.

الخامس: إن طريق النهضة لهذه الأمة يبدأ من قراءتها الواعية للسنة النبوية الشريفة، واستنباط ما في هذه السنة من مزايا وقيم وعلوم نافعة للفرد والمجتمع.

الغرض من هذا البحث

وقد أحببت أن أشارك بهذا الجهد المتواضع حول السنة لسد ثغرة، فقد اعتنى الأئمة المتقنون الأعلام الكبار من أهل الحديث في هذا العصر بدراسة الأسانيد أكثر من عنايتهم بدراسة المتن دراسة سهلة تسهل على الناس الاتصال بسنة نبيهم عليه السلام، وتعالج ما استجد من مشكلات بأسلوب العصر، وإن كان أسلافنا من الأئمة ــ رضي الله عنهم جميعا ــ قد اعتنوا بالأسانيد والمتون معا، وقدموا الشروح النافعة رضي الله عنهم أجمعين، ولكن عامة الناس في عصرنا، قد أعرضوا عن قراءة تلك الشروح، وشغلتهم حياتهم المعاصرة ووسائل الإعلام عن قراءة تلك الشروح ومتابعتها، ناهيك أن

[1] – تاريخ آداب العرب، (2/114-115).دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1394هـ/1974م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بعض تلك الشروح هي بنت زمانها، وليس فيها ما يعالج مشكلات عصرنا، لذا جاء هـذا الكتـاب كخدمة نسديها إلى عامة المسلمين، لكي يتعلموا من نبيهم ﷺ ما يرشدهم إلى سعادة الدارين، ولكي لا ينبهروا بما وصل إليه الفكر الغربي من إنجازات، **فما من خير إلا وله أصل في ديننا، عرف ذلك من عرفه وجهله من جهله، حتى لقد وجدنا المنصفين من أئمة الفكر والإبداع بالغرب أمثال فولتير وجوتـه وبيكون وبرناردشو وكارليل وغيرهم يقرون بعظمة النبي الأمي محمد ﷺ، وأنه خير قائد أنجبته الإنسانية عبر التاريخ، وأن دينه قادر على حل مشلات هذا العالم المعقدة لما فيه من حيوية وتجدد وخلود.**

ومن نافلة القول أن نذكر هنا بأننا حاولنا وضع تبويب عصري للأحاديث النبويـة تسـهيلا للقارئ، وقدمنا ما يزيد على مائة حديث نبوي كريم اخترناها من أبواب متعـددة، و لم نقـف عنـد الأحاديث المشهورة كالأربعين النووية والأربعين في أصول الدين ونحوها، وإنما حاولنا أن نقدم باقـة جديدة من الرياض المحمدية، تتطابق مع عنوان الكتاب، وتوافق المقاصد العامة للإسلام كما فعل أسلافنا رضي الله عنهم.

أرجو من الله العلي القدير أن يتقبله مني، وأن يجعله ذخري يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول
قضايا روحية

فضيلة التوحيد

عن عثمان، قال: قال رسول الله ﷺ: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة). رواه مسلم[1].

التوحيد أساس العقيدة، وعليه قامت الأرض والسماء، فلا شيء أهم في هذه الحياة من توحيد الخالق عز وجل، فهو الذي خلق ورزق وربى الناس بنعمه، ولذلك يستحق أن يعبد وحده دون سواه، ولا يعبد إلا بما شرع، فإذا عبده المؤمن مخلصا له بالتوحيد استحق الجنة، وإذا مات جازما بالتوحيد دخل الجنة بفضل الله عز وجل.

والتوحيد يكون بإفراد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وينبغي تلقين هذا التوحيد للأطفال منذ نعومة أظفارهم، لأنه سبيل النجاة الذي لا سبيل غيره في الدنيا والآخرة.

ولسنا هنا بصدد شرح التوحيد وبيان أهميته وأقسامه ومقتضياته ونواقضه، وإنما يعنينا هنا بيان فضله وقيمته، وأما التفاصيل فيما سوى ذلك فموضعها في كتب العقيدة المتخصصة بهذا الموضوع، وهذا الحديث عن فضل التوحيد لا حد له، ويكفي أن التوحيد هو الذي ينقل صاحبه من ذل العبودية لغير الله، أيا كان المعبود حسيا من صنم أو شيطان، أو نجم، أو مظهر من مظاهر الطبيعة، أو ملك أو ولي أو نبي... أو معنويا من هوى أو شهوة أو فلسفات مادية أو علم ونحو ذلك، وهو في هذه النقلة يجعله يشعر بالعزة والسعادة بالانتماء إلى هذا الدين، ويؤهله لحياة السعادة الأبدية في مقعد صدق عند فمليك مقتدر.

إن قيمة التوحيد أعظم قيمة عرفها الإنسان عبر التاريخ كله، فالإنسان الموحد إذا عرف الله عرف نفسه ووجوده ولماذا خلق، وإلى أين يمضي، وعرف أن الذي وهبه الحياة هو الذي يستطيع أن يأخذها منه، وأن الذي رزقه وهو في أحشاء أمه هو الذي سيرزقه في بقية عمره، وأن الذي وهبه العقل والصحة والشباب هو الذي بيده مقاليد الخير في السماوات والأرض، فيمشي مستضيئا بنور الله، مطمئن النفس، واثق الخطى، لا تلعب برأسه نشوة الخمر، ولا يأسر روحه سراب الآمال الخادعة، ولا يجذب قلبه بريق الشهوات والترات. ومثل هذا الشعور الدافئ الذي يهبه التوحيد لصاحبه في الدنيا جدير بأن يتطور نفعه إلى حد أكبر من هذا في الآخرة ليؤهل صاحبه ليكون من سكان دار الخلد مع النبي ين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

---

[1] – مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، (17/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سـبيل السعادة

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى). قيل: ومن أبى؟. قال من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى). رواه البخاري[1]

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، حيث بين بلفظ موجز سبيل السعادة الأبدية لبني الإنسان، وهي تتمثل بطاعة النبـــي ﷺ فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، والابتعاد عما نهى عنه وزجر.

ولفظ أمتي الذي ابتدأ به يبين أن الأصل في هذه الأمة المرحومة المحمدية هو دخول الجنة التي دل على سبيلها النبـــي محمد ﷺ بقوله وفعله.

والاستثناء: (إلا من أبى) يدل على حرية الإنسان في قراره، ولا شك أن الذي يأبى دخول الجنة يستحق شتى النعوت السيئة والألفاظ المقذعة لغبائه وجهله، بيد أن النبـــي ﷺ لم يصفه بشيء من هذا انسجاما مع الآية القرآنية: (لا إكراه في الدين)[2] واحتراما للآخر أيا كان قراره وكيف كانت وجهته.

وقد أثار هذا الاستثناء حفيظة بعض السامعين، فسألوا النبـــي ﷺ عن هذا الذي يأبى دخـــول الجنة ما هي صفته، فأجابهم بإيجاز شديد بأن من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه فقد أبى دخولهـــا. ولا سبيل للإنسان الذي يحترم الحقيقة، ويستخدم قواه العقلية والنفسية والشعورية استخداما سويا، إلا أن يقر بنبوة محمد ﷺ، ويبادر إلى كتاب ربه فيتدبره، ويمارسه سلوكا وواقعا، ثم يتبع ذلك بسنة النبـــي ﷺ ليتأسى به في أحواله كلها، ويأخذ منها ما يطيق، فما أحد من خلق الله أحق بالطاعة من محمد ﷺ، وطاعته اليوم باتباع سنته، وتعليمها الناس، والذود عنها من طعنات الحاقدين والمفسدين في الأرض.

---

[1]- مشكاة المصابيح، (51/1).

[2] - سورة البقرة، الآية (256).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإيمان يشمل الأنشطة الإنسانية كاملة

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان). متفق عليه[1]

الإيمان قول واعتقاد وفعل وصفة، وليس مجرد شعار أو يافطة يقف تحتها الإنسان، فلا بد للمؤمن حتى يكون مؤمنا من إعلان الشهادتين بلسانه والتصديق بهما في قلبه، والعمل بمقتضاهما في حياته، والتخلق بخلقهما في صفاته، ومن هنا فالإيمان يشمل النشاط الإنساني كله بالنسبة للفرد والمجتمع على حد سواء.

وهذا الحديث يوضح شمول الإيمان لكافة ألوان النشاط الإنساني ابتداء من إعلان الشهادتين وهو أعلى رتب الإيمان حيث يتجرد الإنسان من عبودية غير الله ويعلن ولاءه المطلق لله وأن بيد الله حق التشريع والأمر والنهي وحده لا شريك له، ويعلن متابعته للنبي محمد وتصديقه الكامل لنبوته، ثم يجعل عمله موافقا لما يريده الشرع، فيلتزم بالأوامر ويجتنب النواهي، ويعزم على نفع الآخرين بأية صورة ممكنة، حتى ولو كانت بإماطة الأذى عن طريقهم حتى لا يتعثرون به، ويتخلق بخلق الأنبياء والمرسلين وفي مقدمة ذلك الحياء.

ومن هذا المنطلق فالمؤمن هو الإنسان السوي الذي يلتزم شريعة الله في نفسه وعلاقاته مع الآخرين، وليس هو ذلك المدعي للإيمان وهو يمارس سلوك الشيطان، فلا فصام بين العقيدة والسلوك، وإنما هنالك ممارسة للعقيدة من خلال السلوك اليومي حتى يكون المؤمن موضع القدوة والتقدير من الناس جميعا.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (10/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مأســـــــــاة البشرية

عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدق نبي من الأنبياء مـــا صدقت، وإن من الأنبياء نبيا ما صدقه من أمته إلا رجل واحد). رواه مسلم.[1]

أوجد الله سبحانه وتعالى الإنسان على سطح الأرض، وأمده بالعقل ليتعرف من خلاله علـــى الكون وأسرار الحياة، ويتوصل من ذلك إلى معرفة الخالق الكبير.

بيد أن العقول متفاوتة في قدراتها على التفكير والاستنتاج وإدراك الحقائق الكلية للوجـــود، كمـــا أن الإنسان ركبت فيه الغرائز والعواطف التي كثيرا ما يتغلب سلطانها الشهواني أو الانفعالي على نور العقل فلا يبصر الإنسان الهدى... لذا كان لا بد من وسيلة تساعد العقل على الوصول إلى الحقائق وتجـــاوز المعوقات التي تحول دون الوصول إليها سواء كانت ترجع إلى قصور في العقل أو إلى أسباب أخرى من جبلة أو بيئة، وهنا تأتي وظيفة الأنبياء، وهي مساعدة العقل للوصول إلى الحقـــائق الخالـــدة للكـــون والإنسان والحياة وتجاوز كل المعوقات التي تحول دون ذلك، فدور الأنبياء دور مكمل لرسالة العقل في الحياة، كما أن المصباح مكمل لفائدة البصر، إذ لا يتصور نفع لحاسة البصر في الظلمة ما لم يكن هنالك نور خارجي يبدد تلك الظلمة، فإذا وجد النور مع حاسة البصر تمت عملية الرؤية بشكل سليم.

وفي سبيل مساعدة الإنسان على رؤية النور، تجشم الأنبياء عليهم الســـلام شـــتى المصـــاعب، وتعرضوا للأذى والعدوان والعناء الدائم، وتحملوا ذلك كله من أجل إنقاذ أبنـــاء جنســـهم، وتقـــديم السعادة للآخرين ولو على حساب راحتهم وتضحياتهم بأموالهم وأنفسهم. فماذا كانت نتيجة ذلـــك كله؟ عناء يكاد يكون بغير طائل، وجهد في غير فائدة، فلا ينفع المطر في الصخرة الصماء، ولا يستطيع المغناطيس جذب النحاس، ولا يبصر النور من طمس الله نور عينيه، ولا يعرف الحق من ختم الله على قلبه، حتى إن بعض الأنبياء لم يتبعه إلا رجل واحد! وأما الأكثرية الفاسدة فلم تتبع إلا هواها و لم تؤمن إلا بالشيطان والأوثان المحسوسة التي عبدتها من دون الله، ولا يستثنى من هذا الحكم إلا هـــذه الأمـــة المرحومة المحمدية، أمة الخير إلى قيام الساعة، فهي الأمة الوحيدة التي سارعت إلى تصديق نبيها، والتفت حوله، و لم تبدل تبديلا، ولذا يفتخر نبيها ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ بها، وهو يرجو أن تكون شفاعته لها ﷺ.

مسكينة هذه البشرية إذا لم تهتد بهدى الأنبياء، ومسكينة أكثر حين تزرع الشـــوك في طريـــق الأنبياء وأتباعهم، فحياتها لم تكن إلا تخبطا وظلمات بعضها فوق بعض، ظلمات في المناهج والـــرؤى والتصورات والمعتقدات والسلوك، والأسوأ من هذا كله أن تظن أنها على هدى برغم واقعها الحالـــك، وأن تشعل نار الحقد والعداوة ضد أنبياء الله الذين جاؤوا لينقذوها، فلم جدوا إلا العنت والعدوان من أعداء الصراط المستقيم.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (5744/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التمسك بالثوابت الخالدة

عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). متفق عليه.[1]

للتشريع الإسلامي خصائص مميزة عما سواه من ألوان التشريع البشري، ففضلا عن ربانية المصدر التي تنفي عنه كل قصور وجهل بحقائق الأشياء مما يعتري التشريع الإنساني بسبب ضعف الإنسان، وجهله بكثير من الأمور، وتأثره بالعاطفة والأهواء وملابسات الزمان والمكان مما ينفي عن تشريعه صفة الشمول والاستمرار ليكون صالحا لكل زمان ومكان، فإن للتشريع الإسلامي خصائص أخرى منها ملاءمته لفطرة الإنسان، وتحقيقه للمصالح الفردية والجماعية.

وهنالك خصيصة من أهم الخصائص وهي الثبات فلا تغيير ولا تبديل ولا تحريف ولا تلاعب في نصوص التشريع الإسلامي، خلافا للتشريع الوضعي الذي يتبدل كل آونة بسبب خضوعه لأهواء البشر، وهذه الخصيصة تجعل التشريع في مصلحة الناس جميعا، فلا يستطيع حاكم أو فئة ما أن تتلاعب بالتشريع لصالحها لأي سبب كان.

إن التلاعب بالتشريع من أهم المشكلات التي تواجه الأمم وتعيق نموها وتقدمها، وخصوصا إذا ما كان المشرع خاضعا لتأثيرات بيئية أو سياسية معينة، فإن تشريعه لا بد أن يتأثر بها، مما قد يلحق النفع بفئة والضرر بأخرى، وأما شريعة الله فمصدرها رب الناس وملك الناس وإله الناس، ويتساوى في ظلها الأبيض والأسود، والقوي والضعيف، وهي تتيح للناس الاجتهاد ضمن ضوابط معينة، ولكن ثوابت التشريع لا يمكن لأحد أن يتلاعب بها مهما كانت صفته.

وبثبات التشريع بقيت الشريعة ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولم يعد هنالك ثمة مدخل لأهل الأهواء والفساد والبدع والضلال لكي يفسدوا نقاء الشريعة وجمالها الذي لا يتغير ولا يتبدل، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر على حد قول الإمام مالك رحمه الله.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (51/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلاقة التلازمية بين الأمن والإيمان

عن أبي هريرة، عن النبـــي ﷺ قال: (الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن) رواه أبو داود[1]

رجل الأمن المسلم وصاحب الدين يعملان لغاية واحدة وهي حفظ أمن الفرد والجماعة، ولكل منهما طريقته الخاصة، فبينما يعتمد رجل الأمن على الجواسيس والمخبرين والعيون الساهرة والسـياط والكلاب البوليسية من أجل ملاحقة المجرمين الذين يخلون بالأمن العام، فإن صاحب الدين يعتمد على تربية الناس تربية إيمانية تعزز شعور المراقبة لله، وتهذب الطباع والنزوات، وتبعد الانحراف والجريمة عن خيال الإنسان، وبالتالي فهو يحد من الجريمة إلى حد كبير.

والجريمة أمر واقع لا محالة في كل المجتمعات، بيد أن المجتمع المتحضر هو الذي تقل فيه نسـبة الجريمـة خلافا للمجتمع المتخلف الذي تكثر نسبتها فيه، ومن هنا فإن منهج صاحب الـدين منـهج وقـائي للمجتمع يحد من الجريمة قبل وقوعها، ومنهج صاحب الشرطة هو منهج علاجي يحد من الجريمة عنـد انتشارها وتفشيها، وكل من صاحب الشرطة وصاحب الدين يعملان لغاية واحدة، ولـذا ينبغـي أن تكون العلاقة بينهما قائمة على التعاون والتكامل، لا على العداوة والاتهام كما هو الحال اليوم، حيث توترت العلاقة بين الطرفين، وصارت السجون مكتظة بعباد الله الصالحين بدلا من المجرمين، بينما يسرح الفاسدون والمجرمون بلا حسيب ولا رقيب!

وعودة إلى هذا الحديث العظيم، الذي يشبه الإيمان بالقيد الذي يمنع صاحبه من الفتك والجريمة، فليس من شأن المؤمن الفتك بالناس، بل على العكس من ذلك، فالمؤمن من أمنه الناس على دمـائهم وأموالهم، وهو أبعد الناس عن الجرائم الكبرى التي تخل بالدماء والأعراض والأموال والصحة العامة ونحو ذلك، لأن هذه الجرائم لا توجب العقوبة في الدنيا وحسب، بل إنها توجب العقاب في الآخرة أيضـا، ومن الطبيعي أن يجتنب المؤمن كل ما يسبب له الضرر في دنياه وآخرته.

إن التصور الإسلامي للحياة لا يوجب دفع الضرر عن الآخرين وحسب، بل يدعو إلى بـذل الخـير والإحسان لهم أيضا، فهو تصور إيجابي بناء يرى أن كل ما في الكون والطبيعة مسخر لخدمة الإنسان، وعلى الإنسان المحافظة على الثروات المسخرة له واستثمارها في طاعة الله، وإن من طاعة الله أن يحسـن الإنسان لأخيه الإنسان، ولو كان يخالفه في الدين والمذهب، لأن الهداية والضلال بيد الله، وما علـى الإنسان إلا أن يرأف بحال إخوانه الذين لم يهتدوا لعل الله يهديهم بعد ذلك، فلا يجمع علـيهم فتنـة الكفر وفتنة الأذى في آن واحد، بل يقدم لهم من المساعدة والمعاملة الحسنة والبر ما يقربهم من الـدين الحنيف ويحبب إليهم الصراط المستقيم.

ألا ما أعظم الإيمان الذي يهذب سلوك الإنسان! ويجعل من أهل الجاهلية الضالين، والعـرب البسطاء خير أمة أخرجت للناس! يعلمون قواعد الحضارة وأسس التعامل الراقي إلى يوم الدين.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1053/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غربة الدعوة الإسلامية

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (بدأ الإسلام غريبا، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء). رواه مسلم[1].

هذا حديث عظيم، يرسم صورة الدعوة الإسلامية في فجرها، وذلك وقت البعثة في العهد المكي، وعند غروبها وذلك قبل يوم القيامة، حيث تتلاحق الفتن، ويعقبها خروج المسيح الدجال، وهدم الكعبة، وارتفاع القرآن من أيدي الناس، وغير ذلك من العلامات الكبرى، حيث لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، وقد ذهب الصالحون وكثر الخبث كما خبر بذلك النبي ﷺ.

وقد عانى حملة الدين في غربة الإسلام في بداية أمره الأمرَّين، وسيعاني خلفهم ما عانوه أيضا، فحملة هذا الدين هم الغرباء في هذا العالم في بداية الدعوة، وهم الغرباء قبل قيام الساعة، حيث القابض على دينه كالقابض على جمر كما ذكر النبي ﷺ.

ففي بداية الدعوة عند بعثة النبي ﷺ عانى ﷺ وأصحابه من غربة نفسية وفكرية واجتماعية وسلوكية، انتهت بالهجرة من الوطن، وتحولت الهجرة إلى غربة كاملة عن مجتمع الجاهلية، تشمل عالم الفكر والوجدان، وعالم الواقع والحقيقة معا.

لقد كان النبي ﷺ يحمل مشعل الهداية لقومه، ويريد لهم سعادة الدنيا والآخرة، وأن ينقلهم إلى حياة العزة والكرامة في ظل العبودية المطلقة لله عز وجل بعيدا عن لوثة الأوثان التي تعتبر عبادتها إهانة للعق البشري، وإزراء بإنسانية الإنسان، بيد أنه لقي من أذى الجاهلية وعنتها ما لقي، كذبوه ووصفوه بشتى الأوصاف القبيحة كـ: شاعر، وكاهن، ومجنون، وساحر، ومسحور... وضربوه وآذوه، وعذبوا له أصحابه وقتلوهم وهجروهم إلى الحبشة مرتين من شدة الأذى، ثم كانت المقاطعة الاقتصادية، والحصار في شعب أبي طالب، ثم هموا بقتله ﷺ ولكن الله حفظه من أذاهم، وفتح له من رحمته، وهاجر إلى المدينة.

وفي المدينة بدأت غربة أخرى، وهي الغربة عن الوطن، حنَّ المهاجرون من الصحابة إلى مكة، فحالت قريش دون وصولهم إليها، ناهيك عن أن الشعور الاغتراب النفسي لم يزل تماما، فعلى الرغم مما لقيه المهاجرون من حفاوة الأنصار وحسن استقبالهم لهم رضي الله عنهم أجمعين، فقد هم بعض أهل المدينة من المنافقين بطرد المهاجرين الجدد، وكان في مقدمتهم رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول، الذي قال في قصة بني المصطلق كما ذكر ابن كثير: (قد ثاورونا في بلادنا، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها

---

[1] – مشكاة المصابيح، (56/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأذل)[1]. وقد سجلت هذا الموقف سورة المنافقون، قال تعالى: (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون).[2]

فلم يكن جو المدينة صافيا من مشاعر الغربة إذا، ولكن تلك المشاعر بدأت تأخذ شكلا آخر، ولعل أشد ساعات الاغتراب وأقواها أثرا في نفوس المؤمنين كانت يوم الخندق، حيث اجتمعت أحزاب الجاهلية كلها، ونقض الحلفاء: اليهود مواثيقهم، وأثار المنافقون الإشاعات والأراجيف، وفي مثل هذا الحصار القاسي أحس المؤمنون بالخطر يتهدد دينهم ووجودهم، وزلزلوا زلزالا شديدا، بيد أن نبي المرحمة والملحمة كان يبشرهم بأن الإسلام سيملأ الخافقين، فيخفف من حدة الاغتراب والرهبة في نفوسهم.

وتدور الأيام، وينتصر الإسلام، ويلقي بجرانه على الأرض، ثم تعتري شعوبه الضعف والفرقة والتمزق الداخلي، ويدب الضعف والوهن في مفاصل الأمة، فيضعف أثر الدين في الحياة بسبب ضعف أبنائه، ويصبح حملة الدين غرباء في هذا العالم من جديد، يتخطفهم أعداؤهم كما تخطف الطير فرائسها، وتضيع المقدسات، وفي مقدمتها الأقصى الحزين، ويتهالك الناس على الشهوات، حتى غدا المنكر والعري والفساد هو المألوف والدارج في هذا العالم، وأضحى الحديث عن إصلاح العالم الذي يموج فسادا وكأنه ضرب من الخيال أو حديث عن المستحيل، وكأن النبي العظيم ﷺ كان يستشرف بنور الوحي ونور البصيرة معا أيامنا هذه، فيواسي الخلف من هذه الأمة بما واسى به سلفها الطاهر، بأنهم فريق واحد، وهو فريق الغرباء، وحسب المسلم اليوم فخرا بأن يكون مع سلفه الصالح في فريق واحد، وهو فريق الغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس، فطوبى لهم وحسن مآب.

ومعنى طوبى: دعاء لهم، قال قتادة: يقول الرجل: طوبى لك، أي: أصبت خيرا، وقيل طوبى شجرة في الجنة، في كل دار منها غصن[3]، وحري بفريق الغرباء أن يلتفوا حول تلك الشجرة الطيبة تجمعهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، طالما جمعتهم شجرة التوحيد في الدنيا، ووحدتهم أمام مختلف المحن التي أرادت أن تقتلع منهم دينهم، وتجعلهم يعيشون في ظلمات الفكر والنفس والأهواء، التي يعيش فيها من لم يعرفوا نور الله سبحانه وتعالى.

---

[1] – مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (3/504-505).

[2] – سورة المنافقون، الآية (8).

[3] – نقل هذا ابن كثير عن الطبري وقد نقله الطبري عن بعض السلف. انظر: مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (2/281).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جـــــــــند الله

عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال: (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، أن ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام). رواه أبو داود.[1]

لكل ملك جنود يوكل إليهم بعض المهام في مملكته، وملك الملوك هو الله تعالى له جند السماوات والأرض، وفي مقدمة جنوده عالم الملائكة الأبرار.

والملائكة هي مخلوقات من نور، لها أجنحة مثنى وثلاث ورباع، ومن الملائكة من له مئات الأجنحة، فجبريل ــ عليه الصلاة والسلام ــ كان له ستمائة جناح[2]، وفي أحد أجنحته دمر مدائن قوم لوط، قال قتادة: (بلغنا أن جبريل ــ عليه الصلاة والسلام ــ لما أصبح نشر جناحه، فانسف بها أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها وجميع ما فيها، فضمها في جناحه، فحواها وطواها في جوف جناحه، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب، وكانوا أربعة آلاف ألف، ثم قلبها، فأرسلها إلى الأرض، ودمدم بعضها على بعض، فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها حجارة من سجيل)[3].

ووظائف الملائكة كثيرة، فمنها ما هو موكل ببعض أمور الكون مثل حمل العرش، والكرسي، والجبال والرياح والبحار ونحو ذلك. ومنها ما هو موكل بالإنسان وحمايته وتسجيل أعماله وقبض روحه، والاستغفار له. ومنها ما هو موكل بالجنة واستقبال أهلها وإكرامهم، أو بالنار وتعذيب أهلها، ومنها ملائكة متخصصة بالوحي، وبالاتصال بالأنبياء عليهم السلام.

وفائدة الإيمان بالملائكة هو هذا الشعور الدافئ الذي يغمر الإنسان ويذهب عنه الوحشة والخوف والاكتئاب في حياته كلها، فهو يشعر بمعية الله من خلال تواجد الملائكة معه، وتأييدها له، فهي تتنزل عند تلاوة القرآن، وهي تبسط أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وهي ترفع دعائه وعمله الصالح إلى المولى الجليل، وربما رآها المؤمن على حقيقتها كما حصل لأسيد بن حضير حين كان يتلو سورة البقرة، وربما رآها متمثلة بأجمل صورة كما حصل لمريم وكثير من عباد الله الصالحين.

فطوبى لعبد توحد بمشاعره وقلبه مع عالم الملائكة الأبرار، واجتنب كل ما يوجب عقاب الله أو يورده مسالك الشياطين.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1596/3).

[2] – كما ورد في الصحيحين والطبراني عن ابن مسعود، انظر: فيض القدير، للمناوي، (8/4).

[3] – مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، (228/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعليم القرآن أفضل رسالة علمية في الحياة

عن عثمان، قال: قال رسول الله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). رواه البخاري.[1]

عندما يختار الإنسان مهنة ما، أو هواية أو هدف، يفكر في البداية ماذا يمكن أن تدر عليه تلك المهنة من الربح، ولهذا يتسابق الناس إلى المهن التي فيها وفرة من الربح أكثر من غيرها، فما هي أكثر المهن ربحا في الحياة؟ إنها بإيجاز مهنة التعليم، فهي تسهم في إيجاد الإنسان السوي والنشء الصالح، فلا بد من العناية بها والاهتمام بصاحبها من أجل إيجاد المجتمع المتحضر.

وللعلم أقسام كثيرة، فهناك العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية والرياضية ونحوها، ووارد هذه العلوم المادي متفاوت أيضا، وإن أحسن مهنة علمية وهواية أدبية ورسالة دينية في الدنيا، وأكثرها نفعا وخيرا وأجرا يوم القيامة هي تعليم القرآن الكريم، فهذه المهمة على قلة الراغبين فيها هي أعظم المهمات، لأن أربابها يرجون تجارة لن تبور، وقد نذروا أنفسهم لهداية الناس وإرشادهم إلى الطريق المستقيم، وارتفعوا عن سفاسف الأخلاق، فهم أهل الله وخاصته من خلقه، وهم حزبه الغالبون.

إن تعليم القرآن ليس معرفة التلاوة وحسب، بل هي طريقة تلقين الطالب كيف يتعامل مع الكتاب المقدس، وذلك وفق أسس علمية دقيقة نذكر منها:

الأساس الأول: نظافة الباطن وذلك بالإخلاص لله، فلا بد من الإخلاص في كل عمل، وبخاصة عند التعمل مع القرآن الكريم.

الأساس الثاني: نظافة الظاهر والمتمثلة بالوضوء استعدادا للتلاوة.

الأساس الثالث: النطق الصحيح للحروف والكلمات والجمل، ثم الإلمام بعلم التجويد.

الأساس الرابع: تفسير المفردات الصعبة للطالب.

الأساس الخامس: دراسة ألوان من التفسير بالمأثور واللغة مما يساعد على فهم القرآن.

الأساس السادس: تعليم الطالب منهج التعامل مع القرآن في حياته وممارساته اليومية.

الأساس السابع: الإلمام بعلوم القرآن الكريم قدر الاستطاعة.

الأساس الثامن: تعريف الطالب بفضائل القرآن.

الأساس التاسع: تعريف الطالب بالإعجاز في القرآن.

الأساس العاشر: منهج الاجتهاد والتعامل مع القرآن لحل مشكلات العصر.

الأساس الحادي عشر: تنمية الملكات الإبداعية في الفكر والتربية من خلال القرآن الكريم.

والحديث النبوي لم يحدد المهن، وإنما هو يعم كل من قام بتعليم القرآن، ونذر نفسه لتوصيل النور الإلهي إلى عقول الآخرين وأذهانهم، وقد كان تعليم القرآن يقوم على التطوع في العصور الأولى، ولكن لما تطورت العلوم، وخطت المدارس، وأقيم الأساتذة المتفرغون للعلم، صارت العلوم مهنا

---

[1] – مشكاة المصابيح، (651/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لأصحابها، ولا ضير في ذلك، فالتخصص مطلوب في كل مجالات الحياة، ولا بد من الإنفاق على أهل الدين كغيرهم من العلماء على حد سواء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السمو النفسي لدى الأنبياء

عن ابن مسعود، قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) متفق عليه.[1]

النفس البشرية مجبولة في علاقاتها مع الآخرين على المعاملة بالمثل، فحسب الفعل يكون رد الفعل، فالفعل الحسن يستوجب ردا حسنا، والفعل القبيح يستوجب ردا قبيحا، وهذا أمر لا يكاد يستثنى منه أحد إلا الأنبياء ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والسبب في طهارة نفوس الأنبياء أن الله طهرهم وزكاهم ورباهم، ونزع ما في قلوبهم من غل، فهم أكبر من الأحقاد الشخصية، وأعظم من أن يثأروا لأنفسهم، وأسمى من أن تستفزهم قوة غاشمة، أو عدوان أثيم.

وفي هذا الحديث يستعرض النبي ﷺ صورة نبي آخر ممن كان قبله، نبي قد آذاه قومه، فأدموه والدماء تسيل منه، بيد أنه يدعو لهم بالغفران والهدى، ملتمسا لهم العذر لهذا العمل الشنيع وهو جهلهم في حقيقة النبوة التي جاءت لمصلحتهم ومساعدتهم وجهلهم في مصلحتهم نفسها، حيث يظنون أنها بإيذاء الأنبياء واستئصالهم، ويوم يعرفون الحقيقة الجلية سيجدون أنه لا مصلحة لهم في الدنيا والآخرة إلا باتباع الأنبياء عليهم السلام.

وهذه الصورة التي يستعرضها النبي ﷺ صورة من صور التواصل الروحي والنفسي بين الأنبياء، فدعواهم واحدة، ومنهاجهم واحد، والتحديات التي يواجهونها متشابهة إلى حد كبير، فلا بد لمن أراد هداية البشر من أن يكون ذا سمو خلقي، وأن يوطن نفسه على مقارعة الشدائد، وأن يجعل لها من الصبر ما يعينها على التصدي لرماح المعتدين وسفاهة المجرمين.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1461/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النبوة حقيقة واحدة وحلقاتها متواصلة

عن أنس، قال: كان غلام يهودي يخدم النبـــي ﷺ، فمرض، فأتاه النبـــي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم). فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم. فأسلم، فخرج النبـــي ﷺ وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار). رواه البخاري[1].

أيد الله النبـــي محمدا ﷺ بمعجزات كثيرة تثبت صحة نبوته، إذ لا تستقيم نبوة بلا معجـــزة، وإلا لادعاها كثير من الناس، واختلط الحق بالباطل، والصادق بالكاذب، ولذلك كان لا بد من معجزة لكل نبي تثبت صحة دعواه.

ومعجزة النبـــي محمد ﷺ الخالدة هي القرآن الكريم، إضافة إلى أن هنالك معجزات حســـية أخرى مثل انشقاق القمر، ونزول الملائكة يوم بدر، واستجابة دعائه ﷺ، وهنالك معجـــزات أخـــرى تتعلق بالإخبار بالغيوب عن علامات الساعة مثلا، وعما حصل من الفتن والشجار بين المؤمنين بعـــد وفاته ﷺ.

ونعود للمعجزة الخالدة وهي القرآن الكريم الذي تضمن وجوها كثيرة من الإعجاز اللغـــوي والبلاغي والصوتي والموضوعي والتشريعي والعلمي والإخبار بالغيوب وغير ذلك مما هو مفصل في كتب أهل الاختصاص كالباقلاني والسيوطي ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم.

ومن الأدلة الساطعة على نبوة محمد ﷺ أن الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل بشرت به، وكان اليهود في المدينة يرتقبون ظهور النبـــي ﷺ، فآمن بعضهم وكفر معظمهم بالحق لما جاءهم.

والحديث الذي بين أيدينا ينسجم مع ما ذكره القرآن عن معرفة اليهود بالنبـــي محمد ﷺ، قال تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)[2]. فهذا الغلام اليهودي ما كان ليتطوع بخدمـــة النبـــي ﷺ لو لم يكن يعلم أنه رسول الله، ومن عادة الخادم أن يطلع على ما لا يطلع عليه الناس مـــن أمر مخدومه، فلو رأى ما يريبه لما فكر بالإسلام.. وأما أبوه وهو يرقب ولده الذي يعـــاني ســـكرات الموت، فقد سبقت رحمة الأبوة الغطرسة والكبرياء التي عرف بها اليهود، فإذا به يأمر ولـــده بطاعـــة النبـــي ﷺ والدخول بالإسلام، وذلك حرصا على السعادة الأبدية لفلذة كبده.

ولعل خاطرا يرد: لماذا لم يسلم الأب أيضا ويتبع الحق؟ والجواب على هذا بأن الحـــي أمامـــه فسحة من الأمل والوقت، تسمح له بالمماطلة والتسويف، فلعل هذا اليهودي أراد أن يرقـــب نتيجـــة الصراع بين المسلمين واليهود ليحدد موقفه بعد ذلك، وعدم إسلامه في ذلك الوقت حجة عليـــه، ولا غرابة في موقف كهذا الموقف، فنحن نجد فصاما بين العقيدة والسلوك لدى جمهور كبير من الناس، وهو فصام منشؤه ضغط الواقع أو ضعف تأثير الرؤى الفكرية في نفوسهم، ويؤكد هذا أنك إذا ذهبـــت إلى المحاكم مثلا، وجدت المتخاصمين جميعا يدعون بأنهم على حق، وأنهم مظلومون، ولا ريب أن هنالـــك

---

[1] – مشكاة المصابيح، (495/1).

[2] – سورة البقرة، الآية (146).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ظالما ومظلوما، فهل يظن الظالم في نفسه أنه مظلوم؟ كلا. وإنما يناقض نفسه من أجل مصلحة عاجلة أو اتباعا للهوى.

إن إسلام هذا الغلام دليل صادق على نبوة محمد ﷺ، وأنه مذكور في التوراة، ومعروف لدى أحبار بني إسرائيل، فالنبوة حقيقة ثابتة ذات حلقات متواصلة كان آخرها محمدا، وهو دليل على أن الفطرة السليمة البعيدة عن التعصب والهوى لا بد أن تسير بركب محمد ﷺ.

وانظر إلى هذا الغلام الذكي الذي أراد أن يستئذن أباه قبل أن يسلم، فالأبوان هما اللذان يهودان الطفل أو ينصرانه أو يمجسانه كما جاء في حديث آخر[1]، ولذلك ينبغي على الآباء ألا يترددوا في توجيه أبنائهم نحو صلاح دينهم ودنياهم.

وتأمل بعد هذا كله موقف النبي الكريم ﷺ الذي ذهب يعود غلاما يهوديا كان يخدمه، فكونه غلاما، وكونه يهوديا وكونه خادما كل ذلك لم يزهد النبي ﷺ في زيارته، لأن النبي الإنسان ﷺ لا يفرق بين غلام وشيخ، ويهودي ووثني، وسيد وخادم، وعربي وفارسي، فدعوته إلى الناس جميعا بلا استثناء (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا)[2]، وقد بادر وفاء منه ﷺ لزيارة الغلام، وعرض عليه الإسلام، فلما أسلم حمد النبي ﷺ ربه سبحانه لأنه أنقذ الغلام من النار بسببه ﷺ. هذه هي وظيفة النبي ﷺ، أن يبادر بالدعوة، ويهدي الناس بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وهو لا يريد منهم جزاء ولا شكورا، فإذا اهتدوا فقد تحق مناه ﷺ.

---

[1] – انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، (33/5).

[2] – سورة الأعراف، الآية (158).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صاحب القلب الكبير

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (اللهم إني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته: شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها لها صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة) متفق عليه[1].

ليس ثمة إنسان عرفته الأرض يحمل في قلبه من الرحمة والحب والخير للناس كالنبي محمد ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ، فهو صاحب القلب الكبير الذي لا يعرف الحقد ولا البغضاء ولا الأنانية، وإنما يفيض عفافا وطهرا ومحبة ﷺ.

والإنسان ابن بيئته، لا بد أن يتأثر بها، وأن يحمل ما فيها من الصفات الإيجابية والسلبية على حد سواء، ولكن محمدا الذي رباه ربه واصطفاه، وأدبه فأحسن تأديبه، يبدو وكأنما هو منتزع من بيئته التي كانت الأخلاق فيها مزيجا من الوثنية وبقايا الحنيفية السمحة، ومربى في أقوم البيئات تهذيبا، وأفضلها علما، وأقومها خلقا، فلم يكن فظا ولا غليظا، ولا فاحشا ولا بذيئا، وإنما كان كما نعته ربه عز وجل: {وإنك لعلى خلق عظيم}[2].

وهذا الحديث العظيم يكشف عن جانب عظيم من خلق صاحب الرسالة، فهو بحكم بشريته أولا، والمواقف الصعبة التي يواجهها ثانيا، وجهل المجتمع الذي بعث فيه ثالثا، قد يصادف من الحالات والمشاهد ما يستدعي توبيخ بعض الناس من أجل إثارة الوعي واليقظة في نفوسهم، تماما كما يوبخ الأب ابنه عندما يعمل عملا سيئا، أو يبدر منه تقصير ما، فيكون باعثه على التوبيخ هو الخوف على ولده وتنبيهه وتعليمه، فينبعث منه نحو ولده من الكلمات ما لو قاله غيره له لاشتعل غضبه وثارت ثائرته، وذلك لأن توبيخه هدفه التربية والتقويم، وتوبيخ غيره قد يكون هدفه التقريع والتشفي، وشتان بين الحالتين!. وإذا كانت هذه حال الأب مع ولده، فكذلك هي حال النبي ﷺ مع أمته، فإذا بدر منه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ شيء من التوبيخ نحو بعض الأفراد الذين يربيهم، فهو إنما يريد منهم أن يبلغوا درجة الكمال، وأن يبتعدوا عن سفاسف الأخلاق، ليكونوا أهلا لحمل الرسالة وتبليغ الدعوة في حياته ومن بعد وفاته ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ. ولكن النبي الرحيم ﷺ الذي لجأ إلى التوبيخ بحكم بشريته في بعض الحالات، لم ينس قبل أن يغادر أمته إلى جوار ربه من أن يمد يديه للسماء طالبا من المولى عز وجل أن يجعل كل ما بدر منه تجاه بعض أصحابه من توبيخ ولعن ونحو ذلك رحمة وسكينة وزكاة وطهرا لهم يوم القيامة، و لم نعهد أحدا دعا بمثل هذا الدعاء لأصحابه غيره عليه الصلاة والسلام. أي قلب عظيم قلبك يا رسول الله؟ حقا إنك بالمؤمنين رؤوف رحيم!.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (619/2).

[2] – سورة القلم، الآية (4).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه شمس محمد فأين شمعة حاتم؟

عن جابر، قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال: لا. متفق عليه.[1]

يظن بعض الناس أن محمدا ﷺ كان فقيرا، مستدلين بما ورد من آثار تمدح عيشة الفقراء، وأنه كان يمر الشهر والشهران ولا توقد في بيت النبي ﷺ نار كما روت عائشة، وأن طعام أهله الأسودان التمر والماء، فلم يكن يعرف الغنى فضلا عن الترف الذي تتره عنه الأنبياء والمرسلين.

بيد أن الحقيقة غير ذلك، فمحمد ﷺ لم يكن يوما فقيرا، فقد أغناه ربه بالمال مثلما أغناه بالعلم والمعرفة والنبوة، قال تعالى: (ووجدك عائلا فأغنى). فما قصة هذا الفقر الذي نسب إليه بغير وجه حق؟ إنه الكرم! فرسول الله ﷺ كان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، حيث ينهمر عطائه على السائلين كالريح المرسلة.

لم يكن رسول الله ﷺ يمسك شيئا عن أصحابه، يطعمهم قبل أن يأكل هو، ويكسوهم قبل أن يكسو نفسه، ويؤثرهم بالخدم ويحرم منه ابنته الحبيبة فاطمة، وعندما أهديت إليه بردة يحتاجها في يوم شديد البرد طلبها منه أحد أصحابه فنزعها عنه وأعطاه إياها، فلما لام الصحابة السائل لما يعلمون من حاجة النبي ﷺ الى تلك البردة ذكر لهم بأنه يريد أن يكفن بتلك البردة التي لامست جلد النبي ﷺ.

وهكذا كان يعطيهم كل شيء يطلبونه منه، وإذا جاءته الصدقات أو الغنائم والفيء أنفقها و لم يمسك منها شيئا، وحين رأى بلالا يدخر بعض الطعام قال له: (أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا). ثقة مطلقة بالله المنعم، وإنفاق دائم لا ينقطع، ورغبات الناس وحاجاتهم لا تنتهي، فهو يعطي وهم يسألون، حتى إن حكيم بن حزام سأل النبي ﷺ أول مرة فأعطاه من مال الله، ثم سأله الثانية فأعطاه، ثم الثالثة فوعظه وأدبه فما عاد يسأل الناس شيئا، فلا بد من سد حاجات الناس أولا، والصبر على سؤالهم وطمعهم ثانيا، وتهذيب استشرافهم للمال إذا أعادوا السؤال بعد ذلك وبيان أن المال لسد الحاجة وليس للتباهي والتكاثر به بعد ذلك، فلا يعقل أن يتحول الناس إلى مستجدين بشكل دائم لعطايا النبوة أو الحكم، بل يأخذون ما يعينهم ثم يستثمروه في مصالحهم ويبارك الله فيه، وهذه هي التربية السليمة للفرد والمجتمع على حد سواء.

لقد كان إنفاق النبي ﷺ دائما لا ينقطع في ليل ولا نهار، وكذلك كان أهله وأزواجه، لا يردون سائلا، ولا يحبسون مالا، فكان حالهم مع المال كما قال الشاعر:[2]

لا يأمن الدرهم المضروب صرتنا
لكن يمر عليها وهو منطلق

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1617/3).

[2] – البيت للنضر بن جؤية كما في دلائل الإعجاز، للجرجاني، ص (174).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن كان هذا شأنه لا يبقي لأهله شيئا، بل ربما اقترض ليعطي السائلين، حتى يبدو كأنه فقير وإنما هو في الحقيقة غني أنفق ماله، فما هو إلا كما قال أبو تمام:[1]

لا تنكري عطل الكريم من الغنى

فالسيل حرب للمكان العالـــــــــــــــي

وهكذا ينبغي أن يكون القائد المسلم، والخليفة القائم بالأمر من بعده، فإنما جعل هذا المال للمواســـاة وليس للإمساك، ولمنفعة الإنسان وليس لقهره وإذلاله.

لقد كان الرسول ﷺ أكرم الناس، حتى إن حاتما ليبدو كالشمعة أمام شمس محمد، فلم يبق في يديه شيء من المال، ولذلك يظنه الجاهل فقيرا، وإنما هو في الحقيقة كريم لم يحبس المال عن مستحقيه.

وأما الآثار التي وردت في مديح الفقراء والفقر، فهي لا تمدح الفقر بحد ذاته، وإنما تمدحـــه إذا كان بسبب عارض من هجرة أو جهاد في سبيل الله، كما أن المرض ليس محمودا بحد ذاته، وإنما المحمود هو العافية، وإنما يحمد الصبر على المرض إذا كان ابتلاء من الله كما حصل مع أيوب عليـــه الصـــلاة والسلام، وتعاليم ديننا كلها تحض على البذل والإنفاق، وهل ثمة إنفاق إذا لم يكن هنالك جمع وتثمير للمال وعمران للحياة؟ من هنا كانت اليد العليا خير من اليد السفلى، والعلو يكون للفرد والمجتمع، فقد أراد النبـــي ﷺ من المجتمع المسلم أن يكون مجتمعا قويا رائدا منفقا يسعف الناس وينفق عليهم لا مجتمعا مسحوقا يقبل إعانات المجتمعات الأخرى حتى لا يموت، وليس ثمة سبيل أمام تـــدهور حـــال أمتنـــا الاقتصادية اليوم إلا بالإنفاق من جهة وأن يستثمر السائل ما يأخذه من جهة أخرى لنكون أمة متعاونة رحيمة قوية جديرة بالحياة كما أراد لها النبـــي الكريمﷺ.

[1] – مختارات البارودي، (197/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رؤية الله جوهر النعيم الخالد

عن صهيب، عن النبـــي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تعالى: تريدون شـــيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟). قال: (فيرفع الحجـــاب، فينظرون إلى وجه الله، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم). ثم تلا: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}.[1] رواه مسلم.[2]

لا شيء يناله العبد خير من الجنة، وفي سبيلها يحلو كل شيء من عذاب وفقر وهجرة وشهادة. ومن فكر بأمر الجنة لم تستهوه الدنيا بما فيها، فلا يشبه قصورها شيء من قصور الدنيا، فهي مبنية من ذهب وفضة، ولا يشبه تربتها تراب الدنيا، فهي من زعفران، ولا يشبه حورها نســـاء الـــدنيا، فهـــن خالدات لا يتغير جمالهن، وناعمات لا يبؤسن، وقاصرات الطرف لم يطمثهن أحد، يرى مـــخ ســـاق إحداهن من فوق سبعين حلة كما يرى الضوء من خلف الزجاج الصقيل، وفيها من الأنهار والمآكـــل والمتع المختلفة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولذلك شمر لها الصـــحابة، وسارعوا إليها، غير مبالين بمتاع الحياة الدنيا، فقد اندفع عمير بن الحمام يوم بدر إلى قتال العدو ملقيـــا تمرات كانت بيده يأكل منها، وقال: (لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة) فرمى بما كـــان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل.[3]

وإذا كان نعيم الدنيا لا يساوي شيئا مقابل نعيم الجنة، فإن في الجنة نعيما أعظم من كل نعـــيم آخر فيها، حتى يكاد المرء أن ينسى كل نعيم فيها إزاء ذلك النعيم العظيم، وهو رؤية الله رب العالمين! الله الذي خلق الخلق وصورهم، وأبدع الحسن والجمال في كل شيء، الله الذي أكرم الإنسان بالوجود والعقل وبعثة الأنبياء والنعم الظاهرة والباطنة ثم نجاه من العذاب وأدخله الجنة، يتجلى له بعد هذا ليراه ويكلمه وإنها لنعمة ما فوقها نعمة فتبارك الله أحسن الخالقين!

إن الناس ليتباهون عند دخولهم على ملوك الدنيا وهم عبيد أمثالهم، فكيف لا يتباهى المـــؤمن بلقائه ملك الملوك، وكيف لا تشرئب عنقه لذاك اليوم الذي يرى فيه ربه مع زمرة المتقين رؤية جليـــة واضحة كرؤية القمر ليلة البدر؟ إنها لمنزلة يهون في سبيلها كل شيء، وتستوجب من المؤمن ألا ينسى ربه في السراء والضراء، وأن تكون في لياليه ساعات للقيام والتفكر، وليشدو في كل حين قائلا:

يا واحدا في ملكه ما له ثان = يا من إذا قلت يا مولاي لباني
أنت ستذكرني في كل نائبة = فكيف أنساك يا من لست تنساني

---

[1] – سورة يونس، الآية (26).

[2] – مشكاة المصابيح، (1574/3).

[3] – رواه مسلم، انظر: مشكاة المصابيح، (1121/2-1122).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فمن طلب حب الله هانت عليه الدنيا، و لم تجذبه شهواتها ومغرياتها، وكان همه وشغله رضـــاء مـــولاه لينعم بلقائه ورؤيته في الآخرة، وهذه غاية أرباب القلوب الذين يجهدون أنفسهم في طلب المعالي، ومن طلب الغالي النفيس لم يبخل في سبيله بأي شيء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القدر ومسيرة الإنسان

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (احتج آدم وموسى عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاما. قال آدم: فهل وجدت فيها: [وعصى آدم ربه فغوى][1]. قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟). قال رسول الله ﷺ: (فحج آدم موسى) رواه مسلم، ورواه البخاري في خمسة مواضع من صحيحه ولكن بشيء من الاختصار كما ذكر الألباني[2].

هذا حديث عظيم يدل على وجوب الإيمان بالقدر، فالله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الخلق وبعد أن خلقهم هو أعلم بهم من أنفسهم، وقد قدر عليهم ما كان وما يكون قبل أن يخلقهم وكتب هذا عنده في اللوح المحفوظ، بيد أنه لم يحاسبهم على علمه بهم وهم في علام الذر أو قبل أن يخلقوا، وإنما يحاسبهم بعد أن أخرجهم إلى عالم الشهادة، وفعلوا ما فعلوا.. ويكون الجزاء من جنس العمل.

والإله الخالق المبدع العظيم لا يكون غافلا عما سيعمله الخلق، بل لا بد أن يعلم ما سيعملون قبل أن يخلقهم.. وكتابة هذا العلم في اللوح المحفوظ دليل على أن بيده سبحانه مقاليد الأمر كله في هذا العالم، ولذلك فإن الموحد الحقيقي لا يلتجئ إلا إلى ربه في السراء والضراء معا.

ومع إحاطة الله وعلمه بأفعال عباده، فإنه لم يوجب لهم الثواب والعقاب إلا بعد أن أوجدهم، وفعلوا ما فعلوا بأنفسهم، وهذا غاية العدل، ولم يشأ الله أن يجبر الناس على الهدى، بل ترك الحرية أمام الإنسان ليقرر بنفسه منهجه وخط سيره في الحياة، إما باتجاه الجنة أو باتجاه النار.

وقد أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، ونصب الآيات والشواهد الدالة على وحدانيته في الأرض والسماء، وذلك ليساعد الإنسان على الوصول إلى الحق الذي قامت عليه الأرض والسماوات، وهذا غاية التفضل الإلهي على عبيده أجمعين.

ويريد بعض الناس أن يتخذوا من القدر ذريعة لسلوكهم السلبي في الحياة، فتراهم يتساءلون: لماذا كتب الله عليهم الشر وألزمهم به؟ وهم يتناسون الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أن الله تعالى لا بد أن يكون عالما بهم قبل أن يخلقهم، وكونه عز وجل كتب هذا في اللوح المحفوظ دليل على علمه الأزلي بهم، ومتى كان العلم بالشيء والإحاطة به مناقضا للعدل؟

الحقيقة الثانية: أن الإنسان يحاسب على سعيه وعمله، لا على علم الله فيه، وهذا غاية العدل، فلماذا يقتحم الإنسان ميدان الإثم والخطيئة ثم يرمي بوزره على القدر؟ وهلا اقتحم ميدان الخير والفرصة أمامه مفتوحة، وباب التوبة لم يغلق بعد؟.

---

[1] – سورة طه، الآية (121).

[2] – مشكاة المصابيح، (30/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحقيقة الثالثة: أنه مع العدل الإلهي المطلق هناك الرحمة، ورحمة الله سبقت غضبه، روى أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (لما قضى الله الخلق كتب كتابا، فهو عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي). وفي رواية: (غلبت غضبي). متفق عليه[1].

والله الذي خلق الخلق ويعلم ضعفهم جعل في هذه الدنيا رحمة واحدة يتراحم بها المخلوقات جميعا فيما بينهم، وادخر عنده ليوم القيامة تسعا وتسعين رحمة ليرحم بها عباده، وهذا غاية كرم المولى عز وجل مع العبيد.

الحقيقة الرابعة: أن الإنسان لا يدري كيف تكون خاتمته، فربما قدر الله عليه التوبة أو الغواية في آخر ساعة من عمره، ولذلك لا ينبغي له الاستعجال في الحكم على مصيره في الآخرة، فيظن أنه من أهل الجنة أو أهل النار، فالحياة ميدان فسيح مليء بالمفاجآت نسأل الله حسن الخاتمة.

الحقيقة الخامسة: أن الله تعالى أراد من عباده ومن الإنسان تحديدا أن يأتيه طائعا مختارا، ولذلك جعل الدنيا ميدان ابتلاء له، ولو أراد من الناس جميعا أن يأتوه طائعين بالقوة لفعل ولا راد لمشيئته، ولكن ما الذي سيميز مجتمع البشر عن مجتمع الملائكة آنذاك؟ إنه لا بد من وجود صفات معينة للمجتمع الإنساني تميزه عما سواه، وأولى هذه الصفات حرية الاختيار، قال تعالى: (وهديناه النجدين)[2].

الحقيقة السادسة: أن هنالك مغالطة يرتكبها بعض الناس في أمر القدر، فإن الله من حقه أن يخلق ما يشاء وأن يفعل ما يشاء، وهم يفترضون أن عدالة الله تقتضي أن يخلق الخلق من دون أن يكتب عليهم شيء، وهذا غير صحيح، لأنه إذا خلق الخلق و لم يكن عالما بما يصنعوه كان ذلك نقصان في علمه، والإله الحق لا يخفى عليه شيء، وإذا كان عالما بما سيفعلونه وصفوه بالظلم تعالى الله عن ذلك، وهنا نطرح التساؤل التالي: أليس من حق الله أن يخلق ما يشاء؟ ثم أليس من كمال الألوهية ومقتضياتها أن يكون الإله عليما بمصير هؤلاء الذي خلقهم قبل أن يخلقهم؟ فلماذا تثار الشكوك حول القدر إذا؟

ونعود بعد هذه المقدمة المسهبة إلى الحديث النبوي لنجد فيه أمورا كثيرة ذات مغزى، نذكر منها:

أولا: هذا الحوار بين موسى وآدم عليهما السلام دليل على أن الحوار والمناقشة هما الأسلوب الأمثل للوصول إلى الحقيقة في الأمور الغامضة على وجه الخصوص، وكل إنسان عليه أن يتقبل المناقشة أو المساءلة بصدر رحب أيا كانت صفته، بيد أن من شروط الحوار الأدب مع الآخرين، وذكر محاسنهم قبل توجيه اللوم إليهم. وهو ما فعله موسى ــ عليه الصلاة والسلام ــ أولا حين قال لآدم: (أنت آدم الذي خلقك الله بيده...) فابتدأ بذكر ما فضل الله به آدم على من سواه من الناس، ليسأله بعد ذلك عن خطيئته، وكان رد آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ: (أنت موسى الذي اصطفاك الله...) فبدأ بذكر محاسن موسى أولا، ثم بالإجابة عن سؤاله بعد ذلك.

ثانيا: إن خطيئة آدم ــ عليه الصلاة والسلام ــ كانت سببا لوجودنا على الأرض، ليتصارع الخير والشر معا في داخل الإنسان وفي واقعه، وهي لم تكن خطيئة متعمدة، وإنما كانت من باب النسيان

---

[1] – مشكاة المصابيح، (731/2).

[2] – سورة البلد، الآية (10).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لحكمة يريدها الله عز وجل، قال ابن حجر في تعقيبه على جواب آدم: (وهذا منه في غاية التواضع لله، وإذعان لما جاء عن الله، وله تعالى أن يخاطب عبيده ويصفهم بما يشاء، إذ المعصية والغواية يطلقان على مطلق المخالفة، ولو مع النسيان، كما هنا، فإن آدم لم يتعمد الأكل من الشجرة المنهي عنها، بل تأول أو نسي، قال تعالى: [ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي][1] ومع ذلك وصفه ربه بأنه عصى وغوى إقامة لناموس الربوبية عليه، لا ليتأسى به الناس في وصفه بذلك لعصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر، قبل النبوة وبعدها، فلم يوصف بذلك في غير القرآن، لأنه يوهم العامة وقوع معصية منه عليه الصلاة والسلام)[2].

ثالثا: يثبت هذا الحديث أن ما في القرآن والتوراة متفق ولا يختلف ما في أحدهما عن الآخر، وهذا يعني وحدة المصدر للكتابين فهما من عند الله تعالى، فالآية: (وعصى آدم ربه فغوى) موجود معناها في التوراة بالعبرية، وليس المراد أن لفظ التوراة بهذا التركيب كما ذكر القاري[3].

رابعا: إننا نتلقى هذه الأحاديث بالإيمان والتسليم، ونؤمن بأن الله تعالى قادر على أن يجمع آدم وموسى كيفما شاء وأنى شاء مثل ما جمع الأنبياء جميعا لنبيه محمد ﷺ في بيت المقدس ليلة الإسراء، ولله در أبي نواس حيث قال:[4]

وليس على الله بمستنكر

أن يجمع العالم في واحد

والله الموفق للصواب.

---

[1] – سورة طه، الآية (115).

[2] – مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (148/1).

[3] – انظر: مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (148/1).

[4] – مختارات البارودي، (108/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القيمة الشعورية لذكر الله

عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: (مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر، مثل الحي والميت). متفق عليه[1].

هذا الحديث يلخص فائدة الذكر، ويحدد الفرق بين الذاكر لربه، والغافل عن ذلك الذكر، بالفرق بين الحي والميت. وذلك يعود إلى أن الذكر هو حياة حقيقية للإنسان، فهو عندما يذكر الله، إنما يبدد بهذا الذكر هموم الدنيا ومشاغلها، ويتذكر عظمة الله الذي وهبه الحياة، وتخشع لهيبته الكائنات، فإذا بالمشاغل الدنيوية تتلاشى، والصعاب تهون، فينطلق مع الحياة حرا طليقا وكأنما ولد من جديد، له من ذكر الله مدد يعينه، وزاد يقويه، فهو متصل بالحي الذي لا يموت، لكي يواجه الحياة بكل ما فيها من متاعب وآلام، بطاقة لا تتبدد، مصدرها ذكر الله الذي تحيى بسببه القلوب، وتنطلق من أسرها الأرواح.

وفي الصورة المقابلة لذلك الذاكر تأتي صورة الغافل عن ذكر الله، الذي نسي الله فنسيه، وانغمس في حمأة الطين ولذات الحياة، فلا يعرف إلا المادة، ولا يؤمن إلا بالمحسوس، متشاغلا بحطام الدنيا عن ذكر مولاه الذي خلقه، حتى إذا ما تعرض لموقف صعب من مواقف الحياة، وجد نفسه فريدا وحيدا، بلا مدد ولا سند، فشعر بالغربة والوحشة والانفراد، ووقع فريسة الهم والغم والحزن، واسودت الدنيا أمام عينيه، فإذا به يلجأ إلى المخدرات أو الانتحار أو الجريمة، وبهذا يفقد وجوده الإيجابي في الحياة، ويصبح عقبة في طريق أهلها، حتى يبدو هو والميت سواء، بل ربما كان أسوأ من الميت الذي مات واستراح، ولذلك قيل:[2]

ليس من مات واستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

ولا تقتصر فائدة الذكر على تدعيم الموقف النفسي للذاكر في مواجهة الحياة، بل تمتد لتشمل أمورا كثيرة، منها أن الذكر يكشف للمرء الزوايا المغلقة في العقل والتفكير، فإذا بالعقل يكتشف كل يوم جديدا بمعونة الله ورعايته، كما أن الذاكر تثبت قدمه عندما تزل أقدام الآخرين، فلا يقع في متاهات أطماعه، ولا يتيه في سراب أحلامه، ويملأ الذكر وقت الإنسان فيشغله عن الوساوس النفسية والمفاسد الاجتماعية، وأهم من ذلك كله أن الذكر يحرك مشاعر الخير في النفس الإنسانية، فإذا بها تفيض عطاء وصفاء، بينما تجد الغافل عن الذكر قوة معطلة باتجاه فعل الخير، فلا يتحرك إلا بدافع المصلحة المادية، وحيث لا مصلحة مباشرة له لا تجد له حسا ولا إنسا كما يقال، وإذا به والميت سواء لانعدام النفع والعطاء للآخرين، وهذا هو الفرقان الأساسي بين من ذكر ربه ومن غفل عن ذكر ربه.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (698/2).

[2] – البيت لعدي بن الرعلاء، انظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (موت).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أفضل الكـــــــــنوز

عن ثوبان، قال: لما نزلت: (والذين يكترون الذهب والفضة)[1] كنا مع النبـــي ﷺ في بعـــض أسفاره، فقال بعض أصحابه: نزلت في الذهب والفضة، لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟ فقال: (أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه). رواه أحمد والترمذي وابن ماجه[2].

فطر الله الإنسان على حب التملك، فاكتناز الأموال والمعادن الثمينة هو ديدن الناس منذ القدم، وقد يدفع حب الاكتناز إلى كسب المال بطرق غير مشروعة، ومنعه عن مستحقيه، ولـــذلك جـــاءت الشرائع السماوية كافة لتهذيب هذا السلوك الإنساني، فحضت على الإنفاق، وعلى مشروعية الكسب الحلال، لكي يكون المال وسيلة تواصل بين الناس، وليس سببا للقهر والإذلال والعداء.

والاكتناز نوعان: الأول: وهو اكتناز المال والثروات الطبيعية، وهو ما يتهالك عليـــه النـــاس ويختصمون فيه، ثم يغادرون الدنيا دون أن يحملوا درهما واحدا مما اكتنزوه في حياتهم. والثاني هو اكتناز السعادة، وهو ما أشار إليه الحطيئة في قوله:[3]

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو الســـــــــــــعيد

فالتقوى هي الكنز الحقيقي الذي يتغافل الناس عنه، وليس المال مع اعترافنا بأنه عصب الحياة، وذلـــك لأن المال وسيلة وليس غاية، فكم من أناس يكتنزونه وهم في خندق من هم وغم، وفي برزخ من بـــلاء وشقاء، وقد يلجؤون للطب النفسي لكي يساعدهم على تجاوز أزماتهم وآلامهم، فيبذلون المال النفيس من أجل ما هو أنفس وأهم وهو السعادة والسكون النفسي وراحة البال.

وقد جاء هذا الحديث النبوي ليرشدنا إلى أسباب السعادة، والمتمثلة في عامل داخلي ينبع مـــن كينونة الإنسان، ويعتمد على لسان ذاكر لا يفتر عن التسبيح والتحميد، وبهذا ينال المرء حب مـــولاه ومعونته وتأييده، ويبتعد عن اللغو ومفاسد الكلام بالغيبة والنميمة مما يسخط الرب عز وجل، ويـــدمر العلاقات الإنسانية، وقلب شاكر يرضى بقضاء الله وقدره، ولا ينوء بعبء دنياه، ولا يحمل الضـــغينة والحقد والحسد، وبهذا يعيش المرء سليم الطوية، نظيف المشاعر، بعيدا عن كل عوامل التوتر النفســـي ومسبباته، ثم يأتي بعد ذلك عامل خارجي من بيئة الإنسان، ويتمثل في دور المرأة المؤمنة الـــتي تســـاند الرجل في بناء الأسرة المسلمة التي تلتزم بمنهج الله عز وجل. فإذا اجتمع العامل الداخلي مع الخـــارجي كانت السعادة الكبرى، واكتمل الكنز الحقيقي الذي تشرئب إليه أعناق العابدين.

---

[1] – سورة التوبة، الآية (34). والآية بتمامها: (والذين يكترون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعـــذاب أليم).

[2] – مشكاة المصابيح، (2/703-704).

[3] – انظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قبش، ص (215).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حـــــــــديث النفس

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : (إن الله تعالى تجاوز عن أمتي مـــا وسوســـت بـــه صدورها، ما لم تعمل به أو تتكلم). متفق عليه[1].

ما أكثر الوساوس التي تزحف على الإنسان في ليله ونهاره! وربما أقضت له مضجعه فمنعته من النوم.

والوسواس سرطان الأمراض النفسية كما ذكر بعض الأخصائيين، وهو يفسد حياة الإنســـان وعقلـــه ودينه إذا تسلط عليه، ولذلك فلا عجب أن تكون آخر سورة في القرآن الكريم موضوعها الاســـتعاذة بالله من شر الوسواس الخناس، فالله سبحانه وتعالى بعد أن وجه المسلم إلى ما فيه صلاح أمره في الدين والدنيا معا، وذلك عبر سور القرآن جميعا، ختم كتابه بهذه السورة (سورة الناس) لكي يحذر المسلم بعد أن اكتمل بناؤه الروحي والنفسي من الوسوسة التي ربما زرعت الشك والريبة في نفس المؤمن، ودمرته من داخله كما يدمر السوس الشجرة العاتية من داخلها، فتهوي وقد كانت تستعصي على الأعاصير.

إن الوسوسة شيء خطير، سواء تعلقت بأمور الدين أو الدنيا، وهي تزداد ضراوة إذا ظن المرء أن الله سيحاسبه عليها، فيصحبها شعور بالذنب والمحاسبة والتأنيب للنفس الإنسانية، ولأن الله تعـــالى عليم بضعف الإنسان وحاجته إلى العون والرشد، وهو عليم بالنفس الإنسانية وما يمـــور فيهـــا مـــن انفعالات وأفكار لا طاقة للمرء بها، وربما كانت قهرية أو تعود لأسباب مرضية، فقد تجاوز برحمته عن هذه الوساوس جميعا، ما لم تترجم إلى سلوك أو ممارسة أو يعلن عنها صاحبها، فلا حرج على المســـلم من الوساوس إذا بقيت مجرد وساوس، وإن أفضل شيء لمقاومتها والتخلص منها هو عـــدم تفعيلـــها والتحدث بها، لكي تموت في مهدها، وفي الله خير عون ومعين للمرء على هذه الحياة.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (26/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حكمة المـــــــــــوت

عن أبي قتادة، أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة، فقال: (مستريح أو مستراح منه). فقالوا يا رسول الله! ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: (العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد، والبلاد، والشجر، والدواب) متفق عليه[1].

الحياة والموت زوجان متعاقبان في حياة الناس، وبينهما تكون قصة الإنسان بما فيها من كفـــاح وصراع ونصر وهزائم، وبهذه الألفاظ الموجزة لخص رسول الله ﷺ حكمة الموت، وقصة الحياة الـــتي تنطفئ جذوتها بالموت لكل من على وجه الأرض، إذ لا يعدو الميت أن يكون إلا مؤمنا يرتاح من الدنيا وأذها، ويعود إلى ربه الكريم لينال عنده الجزاء الأوفى على ما بذله من جهد في طاعة الله عـــز وجـــل، متحملا ضغوط النفس الأمارة، والفتن الكثيرة التي يموج بها الواقع الذي يعيش فيه، ليصرف الناس عن منهج الله المستقيم. أو يكون الميت فاجرا فاسدا تستريح منه الخلائق جميعا بما في ذلك الطبيعة الصـــامتة التي يمتد أذاه إليها إما بقطع أشجارها، أو قتل حيوانها، أو تلويثها وإفسادها في سبيل هـــواه وأحلامـــه العبثية في كثير من الأحيان.

وهذا الحديث يلخص سلوك الإنسان على وجه الأرض، فالمؤمن في عناء مستمر لإقامة منـــهج الله في الأرض، وبضده الفاجر الذي يهلك الحرث والنسل، ويتبع أهواءه وضلالاته، ويسخر نفسه ليس لعمران الكون واستثماره بطاعة الله عز وجل، وإنما بتدميره وإهلاكه في سبيل أهوائه الجامحة وظلمـــه وعدوانه.

ويأتي الموت ليضع حدا لعناء المؤمن في صراعه مع نفسه وهواه وأعدائه جميعا، فيكون في جوار مليك مقتدر، وفساد المجرم، الذي يمتد أذاه إلى متحف الطبيعة ليفسد جمالها، ويبـــدد كـــل ثرواتهـــا وعناصرها فيما لا يعود عليه وعلى الأحياء بمنفعة، ويحولها إلى ركام.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (503/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عــــــــــــذاب القبر

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (هذا الذي تحرك له العرش ــ يعني سعد بن معاذ ــ وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفا من الملائكة، لقد ضُم ضمة، ثم فــرج عنــه). رواه النسائي[1].

للقبر أهواله ووحشته، وظلمته وهيبته، ونعيمه وعذابه، فهو أول منزل من منازل الآخرة، فــإذا تجاوزه المرء بخير فما بعده أيسر منه، وإذا تجاوزه بشر فما بعده شر منه، كما حدث بــذلك النبــي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

بيد أن ضمة القبر الأولى أمر لا مفر منه للمؤمن وغيره، فهذا سعد بن معاذ رضي الله عنه، سيد الأوس، وشهيد الخندق، وهو ذلك الرجل المهيب الذي اهتز له عرش الرحمن، وحضر النبــي ﷺ لحده في قبره، يضيق عليه القبر حتى كادت تختلف أضلاعه، فكيف يكون حال من سواه ممن هو أقــل منــه شــأنا وجهادا؟! نسأل الله العون في ذاك الموقف.

ولا ينبغي للعاقل أن يكذب بعذاب القبر، فقد كان النبــي ﷺ يستعيذ بالله من عذاب القبر[2]، والموت ليس هو نهاية أبدية للإنسان حيث يتحلل جسمه، ويعود ترابا كما يبدو للعين ظاهرا، ولكنــه ولادة جديدة للإنسان في عالم آخر، وبداية رحلة أخرى تنتهي به إما إلى الجنة أو النار والعياذ بــالله.. وما من إنسان إلا وسيكون ضيفا على القبر ذات يوم، وسيعاني من ضمة القبر ما يعاني، فحري بالعاقل أن يبادر بالاستعداد لهول ذلك الموقف العصيب، ولقد أحسن من قال شعرا:[3]

يا من بدنياه اشتغل — وغره طــــل الأمل

الموت يأتي بغــــتة — والقبر صندوق العمل

---

[1] – مشكاة المصابيح، (49/1).

[2] – انظر: مشكاة المصابيح، (297/1).

[3] – منسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قبش، ص (52).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انقلاب النظام الكوني

عن أبي ذر، قال: قال: قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس: (أين تذهب؟) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد ولا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، ويقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: {والشمس تجري لمستقر لها}[1] قال: (مستقرها تحت العرش). متفق عليه[2].

يشير هذا الحديث إلى اضطراب سيحصل في الكون بسبب تغير حركة الشمس قبل يوم القيامة، فقد اعتاد الناس رؤيتها تشرق وتغرب وفق نسق معين لم يتغير منذ الأزل، وليس بوسع أحد من الخلائق أن يغيره أو يتحكم فيه مهما بلغت قوته، ولذلك حين ادعى الطاغية نمرود الربوبية، وأنه يحيي ويميت، طلب منه إبراهيم الخليل ــ عليه الصلاة والسلام ــ أن يأتي بالشمس من المغرب على غير الصورة المعهودة لها كل يوم، فبهت الكافر القاصر، ووقف عاجزا أمام هذا التحدي!، فلا يتحكم بأجرام السماء إلا من برأها أول مرة، وهي تنقاد له، وتسبح بحمده في حركة دائبة إلى يوم القيامة.

وهذا الحديث منسجم مع القرآن الذي ذكر بأن الشمس تسجد لله، قال تعالى: (ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس)[3]. والسجود في اللغة يأتي على معان كثيرة منها ما جاء في القاموس المحيط: (خضع، وانتصب ضد، وأسجد: طأطأ رأسه وانحنى)[4] وهو ــ أي السجود ــ إما أن يكون على صفة معينة لا ندركها، أو يفسر بانقياد الشمس ونحوها من الأجرام لأمر لله كما ذكر بعض العلماء، وأيا كانت حقيقة هذا السجود وكيفيته فهي أمر لا يعنينا البحث فيه، وإنما نصدق بالخبر الذي يدل على تحكم الله بالأجرام كلها، وأنها تصدر عن أمره وإرادته، وتنضبط وفق ما قدر لها وأراد، وإذا أراد لها أمرا على غير عادتها فلا راد لأمره سبحانه وتعالى.

وهذا الحديث لا يخالف فكرة دوران الأرض حول الشمس حسب ما ظن بعضهم، لأن الشمس كما تبدو للعين المجردة هي التي تدور حول الأرض، ولذلك سأل الرسول ﷺ أبا ذر أين تذهب الشمس بعد مغيبها مراعاة لواقع الناس ومعارفهم، ولا يقتضي سجودها لله سبحانه وتعالى أن لا تكون مشرقة في مكان آخر، أو أن تغادر مسارها الذي تجري فيه، لأن كل من في السماوات والأرض يسجد لله بحسب موقعه ومساره، وجميع المخلوقات تسجد وهي تحت العرش، ومن المقرر في علم الفلك أن هنالك ثلاث حركات للشمس، واحدة حول محورها، وأخرى وهي حركة بالنسبة للنجوم الثوابت القريبة، وثالثة وهي حركة دوران بالنسبة لمركز مجرة سكة التبانة. وأنها تجري لنقطة النهاية، حيث ستنطفئ بعد ذلك، فسبحان من بيده الأمر كله، وهو على كل شيء قدير.

---

[1] – سورة يس، الآية (38).

[2] – مشكاة المصابيح، (1506/3).

[3] – سورة الحج، الآية (18).

[4] – القاموس المحيط، مادة (سجد).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السمو النفسي والتألق الروحي

عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان) رواه أبو داود[1].

المادة والمصالح المادية العاجلة كثيرا ما تدور حولها مشاعر الحب والبغض، والمنح والمنع في آن واحد، وتكاد تكون أكثر العلاقات الاجتماعية محكومة بالبعد المادي.

ولما كانت المصالح المادية مختلفة بل ومتناقضة أحيانا بين الناس، فإن تحكيمها بالمشاعر والعلاقات الإنسانية يدمر الجانب الخير في الحياة الإنسانية، ولذلك حرص الدين الحنيف على تحرير المشاعر والعلاقات الإنسانية من النظرة المادية، وحرص على أن تكون تلك المشاعر والعلاقات قائمة على أساس الإيمان بالله العظيم، لكي تكون العلاقات بين الناس قائمة على بعد روحي، وتابعة لوحي الله، وليس العكس، أو بعبارة مختصرة نستطيع القول بأن الله تعالى أراد للإيمان أن يحكم عواطفنا، وعلاقاتنا المادية والاجتماعية، لا أن تحكمنا المادة وتطبع سلوكنا بطابع النفع والمصلحة العاجلة، ومن هذا المنطلق جعل الحب والبغض الذي يكون لله وليس للأهواء البشرية، والعطاء والمنع الذي ينجم عن الحب والبغض ويكون تابعا له يكون لله أيضا، وليس للهوى، جعل هذا علامة على استكمال الإيمان في قلب الإنسان المسلم، فما أحوج البشرية اليوم أفرادا وجماعات إلى أن تتمثل هذا الحديث النبوي الشريف، وتعيد بناء علاقاتها الإنسانية على أساس الخير والنفع المجرد عن كل مصلحة مع الآخرين، وترتفع قليلا عن هذا الوحل الذي ارتكست به الإنسانية والذي يسمى بأسماء مختلفة بيد أنها في النهاية ذات دلالة واحدة.

فليست الفلسفات المادية والواقعية والوجودية والعلمانية وغير ذلك من المذاهب المعاصرة إلا ارتكاسة نفسية واجتماعية للبشرية في عصر هيمنت فيه المصالح المادية على كل اعتبار خلقي أو معيار ديني، حتى صار الإنسان عبدا لهواه مصالحه، بل وربما حطم في سبيل هذه المصالح كل القيم والأخلاق الحميدة، حتى صار الإنسان يأكل لحم أخيه الإنسان، مما جعل الشاعر العربي ينـدد بهذا السقوط الجماعي للناس فقال:[2]

يعيب الناس كلهم الزمانا ... وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان إذا هجانا

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1/16-17).

[2] – البيت لمحمد بن لنكك أو للشافعي، انظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قبش، ص (369).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فضيلة الابتلاء

عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله عز وجل إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط). رواه الترمذي وابن ماجه[1].

الابتلاء في اللغة: الاختبار، وابتلاه: جربه وعرفه. والابتلاء هو وسيلة لكشف حقيقة العبد للخالق عز وجل، وهو أعلم به إذ أنشأه من الأرض، كما وسيلة لمعرفة العبد لنفسه، وعلى أي درجة من درجات البر والإيمان يقف.

والابتلاء ضرورة لا بد منها، فكما أن المؤسسات العلمية الرفيعة لا تمنح شهاداتها إلا لمن دخل الاختبارات ونجح فيها، فكذلك الجنة لا تمنح إلا لمن نجح في اختبار الحياة، وذلك عندما يمارس الإسلام قولا وفعلا من سن التكليف الشرعي عند البلوغ (المراهقة) حتى آخر لحظة من العمر، وهذا أعلى درجات النجاح، وهو أن يبدأ المؤمن حياته ويختمها بطاعة الله عز وجل.

والابتلاء يكون على قدر العبد، فإذا كان مقربا إلى الله زاده الله ابتلاء، من أجل بيان معدنه الكريم، تماما كالمسائل الصعبة التي يمتحن بها الطلبة الأذكياء لتثبت نبوغهم وتفوقهم، فيظهر تفوق الطالب بمقدار قدرته الذهنية وخلفيته العلمية في حل تلك المسائل، وتتفاوت أقدار الطلبة بمقدار قدرتهم على حل تلك المسائل.

والنبي محمد ﷺ أشد الناس بلاء، وأعظمهم أجرا، وهو قدوة للصالحين من العباد فيما أصابه، ابتداء من اليتم الذي ابتلي به طفلا، ثم وفاة الأبناء والأحباب من حوله، ناهيك عما أصابه من أذى قومه في سبيل الله عز وجل، وعن احتضانه لآلام أصحابه وأحزانهم (بالمؤمنين رؤوف رحيم)[2] ومع هذا بقي صلبا إلى آخر يوم من حياته ﷺ.

والعبد عليه أن يرضى بقضاء الله عز وجل وقدره، حتى يرضى الله عنه، وأما السخط فلا فائدة فيه في الدنيا والآخرة، لأنه لا يغير شيئا من قضاء الله عز وجل، بل يزيد العبد مقتا وكراهية عند الله عز وجل، فطوبى لمن رزق الصبر في معمعة الحياة، وكان محل عناية الله عز وجل.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (493/1).

[2] – سورة التوبة، الآية (128).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

قضـــــايــــــا العبـــــادات

فضيلة النداء الخالد

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة). رواه البخاري[1].

لا شيء في الدنيا أجمل من صوت المؤذن الذي يردد النداء الخالد خمس مرات في اليوم والليلة لينبعث صداه في مشارق الأرض ومغاربها.

فالأذان إعلام بدخول وقت الصلاة، وهو يتضمن الإقرار بقواعد الدين الحنيف ابتداء من إفراد الله بالعظمة والكبرياء فوق كل كبير، ثم إعلان التوحيد المتمثل بالشهادة الأولى، ومصدر تلقيه بواسطة محمد والمتمثل بالشهادة الثانية، ثم الدعوة إلى ممارسة أهم شعائر هذا الدين وهي الصلاة عماد الدين وشعار المسلمين، ثم الدعوة عقب ذلك إلى الفلاح... والفلاح لا يكون إلا باتباع منهج الرسالة الخالدة، فهي دعوة عامة للنجاح في الدنيا والآخرة، تبدأ من النطق بالشهادتين، والتصديق بالرسالة، وممارسة الصلاة بعد ذلك، ثم تشمل كل ما فيه الخير للفرد والجماعة التي يعيش معها، وبعد ذلك ينتهي الأذان كما بدأ بتكبير الله عز وجل، والذي تتضاءل أمام عظمة ما سواه من المخلوقات، وتذل لهيبته أهل الأرض والسماوات.

ومثل هذا النداء الخالد الذي تضمن حقائق الوجود، ومبادئ الرسالة، والتحفيز للخير، يشهد عليه كل من سمعه من جن وإنس حتى الجمادات، يشهد هؤلاء جميعا يوم القيامة لهذا المؤذن الذي أسمعها صدى النداء الخالد، فينتفع بتلك الشهادة في يوم تزل فيه الأقدام وتزيغ به الأبصار.. فليبارك الله في المؤذنين جميعا، الذين يوقظون فينا ما غفل من أحاسيس تبلدت بسبب زحمة الحياة وشغلها الشاغل، فإذا بالدنيا الضخمة تتضاءل مساحتها أمام أعيننا، وإذا بعقولنا تستيقظ بعد سبات، ونحن نسمع صدى كلمة الله أكبر، فتتلاشى أمام هذه الكلمة مشقات الحياة على اختلافها، وتذوب كل المغريات، لنتطلع إلى ما هو أسمى وأعلى في مناجاة الرحمن الرحيم.

---
[1]- مشكاة المصابيح، (207/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صلاة نبي الرحمة

عن أنس، قال: (ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم صلاة من النبـــي ﷺ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه). متفق عليه[1].

لا شيء أحب إلى رسول الله ﷺ من الصلاة، فقد جعلت قرة عينه فيها، لما في الصـــلاة مـــن المناجاة والقرب إلى الرب عز وجل.

وحين يقف محمد المحمود في الأرض والسماء ﷺ بين يدي ربه، يدخل في سياحة فكرية ونزهة روحية تجول به في ملكوت السماوات والأرض، فيتدبر عظمة الخالق عز وجل، ويطمئن للوعد، ويخشع للوعيد، ويشعر بلذة القرب، وهو يتلو وحي الله الذي أنزله عليه من فوق سبع سماوات ليكون نـــذيرا وبشيرا إلى يوم القيامة.

وفي غمرة الصفاء الروحي الذي يعيشه رسول الله ﷺ بين يدي مولاه، والمؤمنون من خلفـــه كأنهم بنيان مرصوص، تنبعث أصوات الأطفال الرضع، فما يكون من النبـــي الكريم ﷺ إلا أن يخفف صلاته رحمة بالأطفال وأمهاتهم.. فهو يعلم أن بكاء الطفل يشغل قلب أمه حتى ولو كانت تصلي خلف محمد ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ، وأنه لا يوقف هذا البكاء إلا لمسة حانية من يد الأم لطفلها، أو ضمة لصدرها، مما يضطره إلى قصر الصلاة دون إخلال بتمامها وأركانها.

أي رجل عظيم كريم رحيم كان سيدنا محمد رسول الله ﷺ !؟ وهل عرفت البشرية قلبا خفاقا حنونا يضارع قلب محمد رسول الله ﷺ ؟ إنه بحق نبي الرحمة لمن اتبعه ومن عصاه على حد سواء، بـــل هو المبعوث رحمة للكون والإنسان والطبيعة كل ما فيها، وصدق فيه وصف الله له: (بالمؤمنين رؤوف رحيم)[2] ووصفه لطبيعة رسالته: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[3].

---

[1] – مشكاة المصابيح، (354/1).

[2] – سورة التوبة، الآية (128).

[3] – سورة الأنبياء، الآية (107).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شـــــريعة ميسرة

عن أبي قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس في النوم تفريط، إنما التفريط في اليقظة، فـــإذا نسي أحدكم صلاة أو نام عنها، فليصلها إذا ذكرها، فإن الله تعالى قال: [وأقم الصلاة لذكري][1]) رواه مسلم[2].

من خصائص الإسلام الخالدة أنه دين اليسر والسهولة، فهو دين يراعي مصالح العباد وأحوالهم وضعفهم البشري، فإذا نام العبد مثلا، وفاتته الصلاة، فإنه يصليها متى ذكرها، أي بعدما يستيقظ، ولا إثم ولا حرج عليه، وقد قال النبـــي الكريم ﷺ هذا الحديث مراعاة لأحوال الناس ولا سيما في ذلـــك العصر حيث لم تكن الساعات المنبهة موجودة، ولا مكبرات الصوت في المساجد أيضا موجودة، مما قد يتسبب في النوم والغفلة عن الصلاة.

والنسيان له حكم النوم أيضا، فإذا نسي العبد الصلاة، ثم تذكرها، صلاها وقت التذكر، وهو في حل إن شاء الله من أن يحاسب على تأخيرها إلى غير وقتها، وهذا من يسر الشريعة أيضا.

واليسر ليس مقصورا على الصلاة، وهي عماد الدين، وإنما ينسحب على بقية أركان الـــدين، فالزكاة لا تجب على من ليس لديه النصاب، والصيام لا يجب على المريض المزمن، ويمكن له أن يـــدفع فدية طعام مسكين، وكذلك المسافر والحائض والنفساء يصومون في غير رمضان، وأما الحج فهو لمـــن استطاع إليه سبيلا، فمن لم يستطع أناب غيره، وإذا لم يكن لديه المال والصحة فيعفى منه، ونذكر هنا بأن محيي السنة الإمام البغوي صاحب كتاب مصابيح السنة وكتاب شرح السنة وغيرها من الكتـــب النافعة مات و لم يتمكن من الحج، وكذلك الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي شغله جهاد الصليبيين عن حج بيت الله الحرام، وكان قد نوى أن يحج فعاجلته المنية، وغيرهما كثير من علماء وأعيان هذه الأمـــة ممن لم يتمكنوا من الحج لبعد المكان أو ظروف شاغلة، أو عدم الاستطاعة، وهذا يدل على أن هـــذه الشريعة هي شريعة ميسرة، تراعي مصالح الإنسان وضعفه وظروفه في كل زمان ومكان.

---

[1] – سورة طه، الآية (14).

[2] – مشكاة المصابيح، (191/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التنافس في الخيرات

عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها). متفق عليه[1].

الحسد مرض نفسي خطير، ومعناه تمني زوال النعمة عن الآخرين، سواء أكانت مادية أو معنوية، فحري بالإنسان العاقل أن يبتعد عنه، رحمة بنفسه أولا، لأن الحسد يقتل صاحبه غما وكمدا. ورفقا بالآخرين بعد ذلك، فلا ذنب لهم فيما آتاهم الله من نعم وقسم لهم من المواهب والحظوظ.

وهنالك حسد الغبطة، وهو أن يتمنى المرء أن يعطيه الله مثل ما أعطى فلانا من الناس، وهذا هو المقصود في الحديث، ويكون الحسد هنا محبذا في حالتين:

الأولى: عندما ترى كريما ينفق أمواله ابتغاء وجه الله تعالى في مسالك الخير المتعددة، حتى وكأنه يريد أن يبدد هذا المال في وجوه الخير كلها، ولا يبقي لنفسه شيئا، ومثل هذا الكريم يستحق أن يكون في مقام القدوة، وأن يبعث في الآخرين شعور التنافس في الخير، حتى يتمنون أن يكونوا مثله، ليبعثوا الفرح والسعادة في نفوس البؤساء والمساكين، ولينالوا من وراء هذا الأجر الكبير في الآخرة، حيث يضاعف الله للمتصدق الأجر والثواب، ويدخر له ذلك كله إلى يوم القيامة.

والثانية: الحكمة، وهي العلم والتفقه، والحكمة هنا ليست حبيسة في قلب الرجل وحده، وإنما يتعدى نفعها إلى الآخرين، فهو يمارسها في سلوكه، ويقضي بها في حياته، ثم يعلمها غيره لكي يتناقلها الناس وتستفيد منها الأجيال.

هذا هو الحسد المشروع الذي ينبغي أن يتنافس فيه الناس، لأن التنافس في جمع المال وإنفاقه يثري الفقراء ويقضي على رذيلة الفقر، والتنافس في العلم والحكمة وممارسة ذلك يقضي على الأمية والجهل، وهل ثمة عدوان للناس أكثر من الفقر الذي يدمر الاقتصاد والجهل الذي يدمر العقول والنفوس؟ وهل قامت الحضارات كلها عبر التاريخ كله إلا بأسباب من العلم والمال ولا سيما في العصر الحديث؟.

إن هذا الحديث الشريف يلخص مأساة أمتنا الراهنة بمجملها، لأننا لو سعينا إلى فتح الخزائن، وإنفاق المال في وجوه الخير، وتعلمنا العلوم التي سبقنا بها الآخرون بجد ومثابرة، لما كنا في هذا التردي الحضاري المقيت، ولما تسلط علينا الطامعون من كل حدب وصوب.

والخير كلمة واسعة في الدين، تشمل بناء المساجد والمدارس والمستشفيات ورعاية الفقراء والمساكين... وكذلك الحكمة فهي تشمل العلوم النافعة في الدين والدنيا، وحري بالمسلمين أن يبادروا لتطبيق هذا الحديث، وأن يتنافسوا فيما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، ليكونوا خير سلف لخير خلف، وتسير وراءهم الأمم لا أن يسيروا وراء الأمم.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1/70-71).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مراعاة التكوين النفسي في التشريع الإسلامي

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا وضع عشاء أحدكم، وأقيمت الصلاة، فابدؤوا بالعشاء، ولا يعجل حتى يفرغ منه). وكان ابن عمر يوضع له الطعام، وتقام الصلاة، فلا يأتيها حتى يفرغ منه، وإنه ليسمع قراءة الإمام. متفق عليه.[1]

إن من مزايا الدين الإسلامي مراعاته لفطرة الإنسان وحاجاته وغرائزه، فالإنسان مكون من جسد وروح، وهو جسد قبل أن تنفخ فيه الروح، قال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)[2]. وقال أيضا: (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين)[3]، فعملية الخلق ابتدأت من الطين، ثم جاءت الروح بعد ذلك، واكتمل الإنسان بشرا سويا، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأولية الخلق من طين تقتضي العناية بهذا الجسد الذي هو ثوب للروح، ووعاء لها، ومترلها الذي تسكن فيه، فبقدر العناية بهذا المترل الذي هو الجسد تكون راحة الروح وسكينتها واستقرارها، ومن هذا المنطلق فإن تقديم العشاء على الصلاة ليس تهوينا من شأن الصلاة، وإنما ليكون هم العبد في صلاته قربه من مولاه، وفهمه وتدبره لآيات الله عز وجل، فلا يشغله جوع أو طعام عن تدبر ما يتلوه من آيات القرآن، وهنا تبرز واقعية التشريع الإسلامي الذي راعى التكوين النفسي للإنسان، فلم يخاطبه على أنه جسد خالص، أو روح خالص، وإنما هو وحدة مكونة من الجسد والروح، ولا بد من العناية بالجسد أولا لكي تحلق الروح بعد ذلك في ملكوت الله.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (333/1).

[2] – سورة الحجر، الآيتان: (28-29).

[3] – سورة ص، الآية (71).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقدان مصداقية العمل

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر). رواه الدارمي[1].

العمل الصالح ثروة وادخار للمؤمن، ويرشد هذا الحديث إلى ضرورة الحفاظ على العمل الصالح وتثميره، وذلك بالابتعاد عن كل ما من شأنه الذهاب بثواب الأعمال الصالحة من قول أو عمل.

فالصيام مثلا عبادة فيها مشقة على النفس، يتحمل المرء فيها طول الظمأ مع لهيب الشمس، ومع هذا فقد يحرم الصائم ثواب صيامه إن لم يكن محتسبا به وجه الله تعالى، أو لم يكن مجتنبا للكبائر، بعيدا عن مفاسد الأخلاق، وإن أجزأه الصيام و لم يحتج إلى القضاء.

وكذلك الصلاة في الدار المغصوبة، وأداؤها بغير الجماعة ومن دون عذر، فإنها تسقط القضاء ولا يترتب عليها الثواب كما ذكر العلامة القاري نقلا عن الإمام الطيبي[2].

والأمر نفسه في الحج والزكاة أيضا، فإنه لا يحصل له بهما إلا خسارة المال وتعب البدن في المآل، والظاهر أنه أريد به المبالغة وأن النفي محمول على نفي الكمال أو المراد به المرائي فإنه ليس له ثواب أصلا كما ذكر العلامة علي القاري[3].

فحري بالعبد المؤمن أن يتره عمله الديني عن كل ما يشينه من نية مشوبة بالرياء، أو قول مشوب بالكذب، أو سلوك مشوب بالمعاصي، لتكون العبادة خالصة لوجه الله عز وجل، على الوجه الذي يرضي الله عز وجل، حتى ينال صاحبها الجزاء الأوفى عند الله يوم القيامة.

إن النبي الكريم ﷺ يرشدنا في هذا الحديث إلى ضرورة التكامل بين العبادة والسلوك وعمل القلب، لأن الإسلام لا يفرق بين دين ودنيا، وعبادة ومعاملة، فلا بد من سلامة العناصر الثلاثة المشتركة في كل عمل وهي النية والقول والعمل، حتى ينال المؤمن الأجر الكامل من ربه عز وجل.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (626/1).

[2] – انظر: مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (271/4).

[3] – انظر: المصدر السابق، (272/4).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحج أعظم تجمع إنساني

عن عائشة، قالت: إن رسول الله ﷺ قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء). رواه مسلم.[1]

ما أكثر المنتديات التي يلتقي بها الناس في شتى المناسبات! فهم يلتقون في الأعياد والأفراح والأتراح، وقد أتاح لهم التقدم التكنولوجي الذي تعيشه المعمورة في هذه الأيام أن يلتقي أهل المشرق بأهل المغرب لحضور حفل أو متابعة بطولة كروية أو نحو ذلك من المهرجانات والكرنفالات، ولكن هذه التجمعات تبقى محصورة بفئات معينة من الشباب أو الأغنياء أو الهواة... وليس لزاما على كل واحد من الناس أن يحضرها، ويستفيد الحاضر المتعة بشكل مباشر، وغالبا ما تقام هذه المناسبات في أماكن سياحية لجلب الحضور، ويتوفر فيها شتى المغريات! بيد أنه لم يحدث أن التقى الناس من شتى بقاع الأرض لقاء إلزاميا على الرجل المستطيع والمرأة المستطيعة، في سن الشباب أو الشيخوخة، التقوا على صعيد واحد، في أرض جرداء، بملابس بيضاء، لغير هدف دنيوي، أو كسب مادي، منفقين أموالهم، تاركين أعمالهم، متحملين لعناء السفر، إلا في مكان واحد يتجدد لقاؤهم فيه كل عام وهو أرض عرفات الطاهرة. اللقاء في الحج هو لقاء التجرد فوق المصالح والمطامع، وفوق الأهواء والشهوات، تنصهر فيه الأعراق، وتتوحد فيه اللهجات، وتتصافى فيه القلوب، وهي تدعو بدعاء واحد، لا لغط فيه ولا صخب: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. فما أعذبه من دعاء وما أطيبه من نشيد، فلا سيادة في ذلك الموقف لغير الحق، ولا تقديس لغير الله، تتهاوى في ذلك الموقف كل الفروقات بين الناس، وكأنهم جميعا أسرة واحدة، أبوها آدم وأمها حواء، عقيدتها التوحيد، وربها العزيز الحميد، ونبيها سيد الوجود، وقرآنها دستورها الخالد، وغايتها رضاء الحق عز وجل، فيجتهد المطيع بالقربى، ويجتهد المقصر بالتوبة، والجميع يستغفرون ويتعاونون، ويتحملون ويصبرون، تجري دموعهم على خدودهم، وتنطلق الآهات من قلوبهم، في مشهد يكاد يشبه يوم القيامة، فتتنزل رحمات الله على عباده، ويكلؤهم بعنايته وغفرانه، ويتوب عليهم أجمعين، ويباهي بهم ملائكته، فليس أهل السماء وحدهم منفردين بالطاعة، بل إن في الأرض من يضاهيهم بفعلها إلى قيام الساعة، وإذا كان الرب سبحانه يباهي بضيوفه من الحجيج الذي تجردوا له، وأتوه طائعين ملبين، فيحق لأهل تلك البلاد المقدسة أن يباهوا أيضا بمكة والبيت العتيق الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا، وجعل الأفئدة تهوي إليه من كل فج عميق.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (796/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نشر العلم عبادة

عن ابن مسعود، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ له أوعى له من سامع) رواه الترمذي وابن ماجه[1].

جاء الإسلام في بيئة أمية، ليس فيها مدارس، ولا يعرف معظم أهلها القراءة والكتابة، وفي مثل هذا الجو الخالي من الوسائل التعليمية الأساسية، لم يكن ثمة وسيلة لنشر العلم وتناقل الأخبار إلا عن طريق الرواية والمشافهة والحفظ، وكان لدى العرب قوة خارقة وذكاء مفرط في الحفظ والرواية منذ جاهليتهم، فقد تناقلوا الشعر والأخبار والحكم والأيام والحكم والأمثال، وعلوما شتى من التنجيم والطب وغيرها مشافهة.. وكانت الكتابة محدودة جدا في العصر الجاهلي بجانب الرواية، ولما جاء الإسلام أمر نبيه الكريم ﷺ بعض أصحابه بكتابة القرآن الكريم، لأنه دستور المسلمين والمرجعية الأولى لهم، و لم يكتب من حديثه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ إلا أحاديث يسيرة تتعلق بالزكاة ونحوها، وذلك خشية أن يختلط القرآن مع الحديث النبوي، ولذلك لم يكن ثمة وسيلة أفضل لنقل السنة من الرواية، وهي مهمة قام بها الصحابة رضي الله عنهم جميعا على درجات متفاوتة تبعا لظروفهم وأحوالهم، وبذلك حفظ الله تعالى لنا السنة النبوية من الضياع، إلى أن بدأ تدوينها في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

وقد حث النبي الكريم ﷺ على نشر السنة، ودعا لناشرها بنضارة الوجه أي تنويره وإشراقه في الدنيا والآخرة، واشترط لعملية التبليغ أن تكون خالية من التحريف سليمة من الزيادة والنقصان، حتى يصل هذا العلم إلى الآخرين الذين ربما استفادوا منه أكثر من بعض رواته، وذلك بسبب اختلاف الناس في قدراتهم الذهنية والعقلية من بلد لآخر ومن جيل لآخر، وبواسطة الرواية حفظ الله لنا الدين الحنيف والسنة الشريفة، وتم التواصل العلمي بين السلف والخلف، وانتشر العلم برواية العلماء وبصيرة الفقهاء.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (78/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النهي عن الغلو والتشدد

عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: (هلك المتنطعون)[1]قالها ثلاثا. رواه مسلم. قال النووي: المتنطعون: المبالغون في الأمور[2]. وقال القاري: (أي المتكلفون في الفصاحة أو المصوتون من قعر حلوقهم، والمرددون لكلامهم في أفواههم رعونة من القول)[3].

من محاسن هذا الدين حرصه على الاعتدال في أموره كلها، ونهيه عن التنطع والتشدد، سواء كان التشدد في المبالغة في الأمور، والتعسير على الناس، ورفض الرخص الشرعية، أو كان بالصراخ والانبعاق بالكلام كما يصنع بعض الخطباء مجانبين لهدي النبوة في أدب مخاطبة الآخرين وضرورة خفض الصوت أثناء الكلام، وأن تكون قوة الكلام نابعة من القلب لا من الصراخ واللسان.

ومن التشدد في الدين الفتاوى التي تحرم للناس ما أحل الله لهم، وترك المباحات وزينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، ومنع العلاج باسم التوكل، وإثارة الفتن الداخلية باسم إزالة المنكر، علما أن إزالة المنكرات العامة بالقوة من وظيفة السلطان، ولا ينبغي لكل واحد من الناس أن يحل محل السلطان في هذا لأن ذاك يوجب الخلل بالأمن العام، وأيضا إثارة النعرات الطائفية التي تمزق الأمة المسلمة، وتقسيم الناس وتصنيفهم وجدولة الصالح والطالح منهم، واستعداء الأمم الأخرى على المسلمين بنبذ العهود والمواثيق الدولية تحت مسمى الجهاد في سبيل الله.

إن هؤلاء المتنطعين يهلكون أنفسهم، وربما يهلكون الأمة من ورائهم، إذا لم يبادر أهل الرأي الرشيد لأخذ زمام المبادرة، وإظهار وسطية الإسلام التي هي أقرب اليسر والسماحة منها إلى التشدد والتنطع، قال تعالى: (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم)[4]. وقال أيضا: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)[5] فهل ثمة شريعة تسير مع ركب الحياة وتوجهها إلى شاطئ الأمان وتنأى بها عن التشدد والتعسير أكثر من شريعة الإسلام؟.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1350/3).

[2] – نفسه.

[3] – مرقاة المفاتيح، (122/9).

[4] – سورة الحج، الآية (78).

[5] – سورة البقرة، الآية (185).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقدان الوعي الديني

عن علي، قال: قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة، وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة، وفيهم تعود). رواه البيهقي في شعب الإيمان[1]

هذا الحديث يشكل تحذيرا هاما للمؤسسة الدينية الإسلامية من الانحراف عن هدي محمد، والانخراط في الفتن، وأن يتحول الإسلام على يديها إلى مجرد طقوس شكلية، والقرآن إلى مجرد أصوات جميلة، ولحن عذب تستمع به الآذان دون العقول، وتعيه العيون دون القلوب!

إن الإسلام في عهده الأول لم يكن يهتم بنقش المساجد، وزخرفة المصاحف وجعلها للبركة أو الزينة، والطرب في المناسبات والموالد، وإقامة الحفلات الدينية الصاخبة، وتصدير الفتاوى الرسمية حسب الطلب، وإنما كان عقيدة وقول وعمل، سعى الرسول ﷺ من خلاله إلى إقامة الأمة الصالحة التي يشمل صلاحها الفرد والأسرة والمجتمع، وتكون قادرة على إقامة منهج الله في الأرض، وتقوم بتبليغه للناس بشتى الوسائل المحببة، وأوجد من خلال هذه الأمة حضارة الخير التي كانت منطلقا لما جاء بعدها من حضارات، وكان ينبغي لها أن تستمر وتنمو لتمتد ظلالها إلى كل المعمورة، بيد أن الانقسام الداخلي الذي مزق الأمة، والتطاحن على السلطة، وتحولها إلى ملك عضود، وجمود البحث العلمي في الفترات الأخيرة، وانتشار الفساد الاجتماعي والاقتصادي، كل هذه الأسباب جعلت المسلمين يتنحون عن قيادة الأمم، وتوجيه سفينة البشرية!

إن الإسلام اليوم يكاد يختلف وضعه عن عهده الأول، لا من حيث تعاليمه، فهي محفوظة ثابتة في الكتاب والسنة، ولكن من حيث تطبيقه وجمود فهم المسلمين وتمزقهم وتحولهم إلى شعوب متشرذمة متخلفة تجسد صورة سيئة للأمة المتهالكة الموشكة على الفناء، ويعود هذا إلى جملة أدواء يعاني منها الفكر الاسلامي، والعاملين في الدعوة، من ذلك:

أولا: اجتزاء الإسلام، فالإسلام منهج شامل للحياة، ولكن بعض الجماعات تحب أن تأخذ منه جانبا تجعله منهاجا لها، وتطرح بشكل عملي بقية الجوانب في الكتاب والسنة وإن كانت تؤمن بها نظريا، فمثلا هنالك من جعل مكافحة البدع ديدنه معتمدا على حديث: (وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة)[2]، وهنالك من جعل الولاية والكرامات ديدنه معتمدا على حديث: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها،

---

[1] – مشكاة المصابيح، (91/1).

[2] – رواه مسلم عن جابر، انظر: مشكاة المصابيح، (51/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ورجله التي يمشي عليها)[1]، وهنالك من جعل مجاهدة السلاطين ديدنه معتمدا على حديث: (أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر)[2]، وهنالك من جعل الحديث عن التجديد ديدنه، معتمدا على حديث: (إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[3]. وهنالك من جعل تصحيح التاريخ ورد الخلافة إلى أهلها ديدنه معتمدا على حديث: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)[4]، وكل فرقة من هؤلاء تعيش في هاجس حديث الفرقة الناجية، وتظن نفسها أنها على الصراط المستقيم، وأن بقية الفرق من أرباب الجحيم، مع أن الإسلام يتسع لهذه الفرق جميعا، ومنهجه أعم منها جميعا، فمكافحة البدع والخرافات، وإثبات كرامات الأولياء، وقول الحق للسلاطين، والتجديد في الدعوة، وحب آل البيت وموالاتهم، كلها أمور هامة، وهي تشكل جزء من برنامج الإسلام في الحياة، ولكنها ليست كل برنامج الإسلام، فالإسلام برنامج كامل للحياة وليس مجرد قضايا جزئية كالتي يشتغل بها هؤلاء.

ثانيا: جهل الواقع والمتغيرات بين الأمس واليوم، فتجد مثلا من المسلمين من يقرأ آيات الجهاد ويريد تطبيقها في الواقع مباشرة، متجاهلا التطورات الهائلة في النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي حدثت بين الأمس واليوم، فالحرب لم تعد مجرد سيف، وإنما قد تكون حربا تكنولوجية واقتصادية وثقافية ونفسية أيضا، والدولة قد تطورت أجهزتها بشكل كبير، وصار لها من النظم والقوانين ما لا ينبغي تجاهله، والبوليس السري يطارد الحركات والسكنات للبشر، فلا يمكن إعلان الجهاد من قبل فرد أو جماعة، وإنما الجهاد حق للدولة الإسلامية التي لها رئيس شرعي منتخب، وذلك لغرض حماية الدولة ومكتسباتها وحماية الدعوة في آن واحد، وأما إعلان الجهاد من قبل فرد أو مجموعة نيابة عن الأمة فأمر لا ينبغي إلا في حالة الغزو الخارجي على الأمة، أما اقتتال أفراد الأمة فيما بينهم تحت ذريعة الجهاد فأمر يفتت وحدة الأمة ويبدد قدراتها على مختلف الأصعدة.

ثالثا: الانغلاق ورفض الآخر، وهو أمر محزن وجوده بين الدعاة إلى الله في حقل الدعوة، ولو أردت جمع آلاف الصفحات وعشرات الكتب التي راجت بين الناس وهي تحمل فكر العزلة والانغلاق لأمكنني ذلك، وعقلية الانغلاق عقلية مدمرة، فالناس من طبعهم الاختلاف، والمجتمع عادة يجمع شتى الناس المختلفين فيما بينهم فكريا، ولكن مصالحهم تقتضي لقاءهم وتجمعهم، وإذا كان على الإنسان أن يتقبل

---

[1] – من حديث رواه البخاري عن أبي هريرة، انظر: مشكاة المصابيح، (699/2).

[2] – رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه، انظر: مشكاة المصابيح، (1094/2).

[3] – رواه أبو داود عن أبي هريرة، انظر: مشكاة المصابيح، (82/1).

[4] – متفق عليه عن سعد بن أبي وقاص، انظر: مشكاة المصابيح، (1719/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العيش مع غير المسلمين وفق مبدأ: (لكم دينكم ولي دين)[1]، فهو أولى أن يتعايش مع بني دينه ممن نطق بالشهادتين وأقر بأركان الإسلام والإيمان، وأما الحكم على الناس بالردة وإعلان الوصاية على التوحيد، وجعله خاصا بفرقة دون سواها، فهذا تشويه للإسلام، وقتل للحرية الفكرية والتعددية المذهبية، وصدام لفطرة المجتمعات التي تقتضي التنوع، وخلاف لمنطق التاريخ، فلا يعقل وقد تمزقت الأمة أحزابا وجماعات أن تعود إلى فهم واحد ورأي واحد في الجزئيات والفروع، فهل يبقى التناطح قائما بين هذه الجماعات إلى الأبد، بينما بيت المقدس يئن تحت الاحتلال، والأمة تزداد فسادا يوما بعد يوم، أم يقتضي المنطق التلاقي على قاعدة: (نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا في ما اختلفنا فيه).

وهناك من يرفض القاعدة السابقة أيضا، فإذا تعذر اللقاء على المبادئ فليكن على المصالح، فكلنا في الهم شرق كما قال شوقي، والغرب لديه من الخلافات السياسية والدينية أكثر مما عندنا، ومع هذا وحدتهم المصالح الاستراتيجية، ولكن المصيبة ألا توحدنا العقيدة ولا المصلحة وكل يدعي أنه على حق، في وقت تستباح فيه حرمات هذه الأمة يوما بعد يوم، ويزداد الأكلة على قصعتها من كل حدب وصوب!

رابعا: تقديم العاطفة على العقل، وهذه قضية مهمة جدا، يقع فيها أكثر العاملين بالدعوة، فهم يستحثون العواطف للنهضة دون العقول، إذا قلت لهم إنه ينبغي أن يكون هنالك نوع من الإعداد الجيد، والتكافؤ مع العدو، حدثوك عن التوكل، وأن من مات دون ماله فهو شهيد، وكأن القضية كلها أن نموت لا أن نبني مجد الدعوة وحضارة الإسلام، وإذا قلت لهم عن ضرورة التحديث والتطوير للمصانع والقوة الاقتصادية للأمة، قالوا لك إن الصحابة لم يكن لديهم شيء من ذلك، وإذا حدثتهم عن العلوم والاختراعات عند الآخرين، قالوا إن الصحابة كانوا أميين، فهم يغالطون من حيث لا يشعرون، ويتجاهلون ما حصل من تغييرات في هذا العالم، فالصحابة كانت لهم علوم العرب وكانوا أميين بمعنى عدم معرفة معظمهم بقواعد الكتابة، ولكنهم لم يكونوا أميين بمعنى أنهم جهلة، فالجاهل لا يمكن أن ينتصر على العالم، ولم تكن لديهم مصانع لأن المجتمع كان بسيطا، ولكن كان منهم من يعمل بالحدادة كعمار بن ياسر، ومنهم من عمل بالنجارة وغير ذلك.

ثم إن الصحابة هم قدوتنا في صدقهم وإخلاصهم وجهادهم وباقي المنظومة الأخلاقية، ولا يجب أن يكون ذاك بالضرورة في خصوصياتهم الاجتماعية وعلومهم الإنسانية التي كانت بنت مجتمعاتهم ويشاركهم فيها المشركون أيضا، لذا ينبغي على الخطاب الإسلامي المعاصر وعي ذلك تماما، وتقديم العقل على العاطفة، وتفضيل البحث والتجربة على الأوهام والأساطير التي تدغدغ العواطف وتدمر الواقع في آن واحد.

إنه ما لم يتم إصلاح واقع الدعوة والعلماء، فيُخشى أن يتحقق حديث الرسول ﷺ الذي سبق ذكره قريبا، ولا ندري لعله كان يقصد واقعنا، أم أن هنالك ما هو شر من هذا الواقع ينتظر هذه الأمة.

---

[1] – سورة الكافرون، الآية (6).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثالث

الشعـــوب والجـــنسيات

العلاقة الخالدة بين العرب والإسلام

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا ذلت العرب ذل الإسلام). رواه أبو يعلى، وقال العراقي في المغرب: صحيح[1].

هنالك وشائج لا تنفصم عراها بين الإسلام والعرب، فالإسلام انطلق من أرضهم، وفيها قبلته، ونزل القرآن بلغتهم، وبعث النبـــي ﷺ فيهم، وهو الذي وحدهم وقدمهم إلى العالم أئمـــة مهتـــدين، وقادة فاتحين، فهم جنوده وحملة لوائه، ووارثوه إلى يوم القيامة.

والعلاقة بين الإسلام والعرب علاقة تلازمية كالعلاقة بين السيف الأصيل والبطل المجرب الذي يحمله، أو كالعلاقة بين الأذن المرهفة والصوت الجميل، وإن شئت فقل هي كالعلاقة بين الأم وابنـــها، فهي علاقة حنين وتآلف ووحدة وتوحد، وذلك يعود إلى أن قيم الإسلام متغلغلة في أعماق الإنســـان العربي، وهو ما عبر عنه العلامة المناوي حيث قال: (إن أصل الإسلام نشأ منهم، وبهم ظهر وانتشر، فإذا ذلوا ذل، أي نقص، لأن الإسلام لا يصلح وينتظم حاله إلا بالجود والسماحة واللين والمودة والرفـــق، وتجنب البخل والضيق، والعجلة والحقد ـــ أي على العدو الظالم ـــ والحرص، والعرب سهلة نفوسها، كريمة طباعها، زكية أخلاقها، لا ينكر ذلك إلا معاند، ولا يجحده إلا مارد، فإذا كانوا في عز، فالإسلام في عز، وإذا ذلوا ذل، فبتلك الخصال فضلوا، لا باللسان العربي فحسب)[2].

وما يعانيه الإسلام اليوم من تقلص نفوذه السياسي، وانحسار مده الاجتماعي، وتكالب الأعداء عليه من كل جهة، فهذا كله بسبب وهن العرب وضعفهم بالدرجة الأولى، وإذ أريد لهذا الدين المبارك نهضة حضارية كبرى، يستعيد فيها مجده وسلطانه على الأرض، فلا بد أن تبدأ بأرض العرب، ويؤكد هذا أننا رأينا تجارب إسلامية متعددة لتطبيق الإسلام في هذا العصر خارج حدود الـــوطن العـــربي، ولكنها أخفقت جميعا في إعطاء الصورة الحسنة للإسلام، فكان منها المنغلق البعيد عن روح العصر، أو الجاهل المتعصب الذي لم يفقه سماحة الإسلام ويسره، أو المتساهل المتهاون في تطبيق دود الله ... إفراط وتفريط، وغلو وتشدد، وجهل وانغلاق، وإخفاق في إصلاح واقع الناس على مختلف الأطر السياســـية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ... مما يجعلنا نعتقد جازمين أنه لا نجاح لهذا الدين إلا بالعرب فهم فرسانه الأوائل، كما أنه لا نجاح للعرب إلا تحت مظلة هذا الدين، وبأن تعود لهم صفات الشـــجاعة والمروءة والكرم التي اشتهروا بها، لينهضوا بالإسلام وينهض بهم، ويتجاوزوا محنة التيه الذي يعيشـــون فيه.

---

[1] – فيض القدير شرح الجامع الصغير، (348/1).

[2] – فيض القدير، (348/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فضائل الجيل الأول من هذه الأمة

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبي ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) متفق عليه[1]

لكل جيل من هذه الأمة خصائصه ومزاياه، بيد أن أفضل الأجيال قاطبة هو الجيل الأول من الصحابة، فهو الجيل الذي امتدحه القرآن بسبب سبقه إلى الإسلام، وتثبيته جذور الإسلام في الأرض، وحسن اتباعه للنبي، قال تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها النهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)[2].

ومن أهم خصائص جيل الصحابة ما يلي:

1- الشجاعة النفسية المتمثلة برفض الجاهلية واعتناق الإسلام بكامل وعيهم وإرادتهم.

2- الصبر، ويتمثل في تحملهم لتبعات انفصالهم الروحي والنفسي عن المجتمع في ظل مجتمع متخلف يحكم على مخالفيه بالعقيدة بالموت.

3- التضحية والفداء، وتتمثل بالهجرة في خروجهم في الأرض مهاجرين في سبيل الله، فتوجهوا إلى الحبشة أولا ثم المدينة بعد ذلك، وغزواتهم الجهادية في سبيل الله بعد ذلك.

4- التجرد لله، فلم يكن لهم أي غرض دنيوي أو منفعة مادية في اتباعهم للنبي.

5- الالتزام، ويتمثل بالتنفيذ الكامل لما يطلبه الله ورسوله منهم أمرا كان أو نهيا.

6- مكارم الأخلاق، وتتمثل بزكاة أنفسهم، وحسن متابعتهم للنبي والذي كان خلقه القرآن.

هذا الجيل الذي قامت على عزائمه دولة الإسلام الأولى في المدينة جدير بكل الحب والاحترام، وينبغي على المسلم العاقل أن لا يلوك لسانه بسبهم لما شجر بينهم، فهم بشر وليسوا معصومين، ولكن كفاهم فخرا صحبتهم لخير البرية، وهي صحبة لا يعدلها شيء، فما كان جبل أحد ليعدل ما أنفقه أحدهم مدا من الشعير أو نحو ذلك، ومن لم يجل أصحاب محمد فقد سفه نفسه، ويخشى عليه ألا يجل محمدا ذاته، فليس العدوان على أحدهم إلا مقدمة للعدوان على معلمهم ورائدهم محمد، ولذلك قال أبو سفيان عند قتل قريش لأحد الصحابة: (ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا).

وقد كان ذاك الجيل العملاق في غالبيته من العرب، وكفاك بهذا ميزة للعرب، فعامة العرب خير من عامة فارس والروم، وإن كان هنالك من أفراد فارس والروم من قد يسبق الكثير من العرب، والقاعدة العملية في التفاضل بين الناس قوله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[3].

---

[1] - مشكاة المصابيح، (1694/3).

[2] - سورة التوبة، الآية (100).

[3] - سورة الحجرات، الآية (13).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رحلة من فارس لأجل الحقيقة

عن أبي هريرة، قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ اذ نزلت سورة الجمعة، فلما نزلت: {وآخرين منهم لما يلحقوا بهم}[1] قالوا: من هؤلاء يا رسول الله؟. قال: وفينا سلمان الفارسي، فوضع النبي ﷺ يده على سلمان ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء). متفق عليه[2].

سلمان الفارسي يمثل شخصية الباحث عن الحقيقة عبر التاريخ، وهو يكاد يكون مثلا فذا لرجل يتنقل بين البلدان والأديان ليستقر في يثرب منتظرا وصول النبي المنتظر عليه السلام، وهو في هذه الرحلة الطويلة وتفصيلاتها المثيرة قد تعرض للأذى، حتى كان في آخر أمره رقيقا ليهودي من بني قريظة، يقول سلمان: (فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي، أعمل فيه بعض العمل، وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له، حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء، على رجل قدم عليهم من مكة اليوم، يزعمون إنه نبي... فلما سمعتها، أخذتني العرواء ــ أي الرعدة ــ حتى ظننت أنني سأسقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك. قلت: لا شيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال)[3].

ويمضي سلمان إلى الرسول عليه السلام خفية، ويقدم له شيئا من تمر الصدقة، فلا يأكله النبي ﷺ، وإنما يقدمه لأصحابه، ثم يقدم له في يوم آخر بعض التمر هدية، فيأكل منه النبي عليه السلام، ثم ينظر إلى الخاتم النبوة على ظهر النبي عليه السلام، فيستوثق بأنه رسول الله، لما رأى من صفته، فهو لا يأكل الصدقة، ويقبل الهدية، وعلى ظهره ختم النبوة، فيعلن إسلامه، ويفك نفسه من الرق بعد ذلك بجهده وبمساعدة المسلمين له... ويأتي يوم الخندق، حيث تحاول أحزاب الجاهلية مجتمعة أن تقتحم بيضة الإسلام في المدينة، وأن تغزوا معقل رسول الله بين أصحابه، وفي عقر داره، وفي هذا الموقف الصعب، يستشير النبي عليه السلام أصحابه، فيشير عليه سلمان بحفر الخندق، ويدفع الله عن دينه ونبيه وجنده أذى المعتدين، بسبب فكرة لمعت بخاطر سلمان، ورأى النبي عليه السلام فيها الحكمة، إذ لا يعقل أن تكون مواجهة مع خلل كبير في ميزان القوى، والمسلم كما طلب منه أن يواجه أعداءه، فقد طلب منه أن يكون حكيما في المواجهة، عاقلا في خططه وأحكامه. ولأن نبي الهدى يقدر المعروف، فقد عرف لسلمان فضله، وجعل من الثناء عليه ثناء على قومه، وهذا غاية التقدير منه عليه السلام لسلمان رضي الله عنه، بل إنه جعل سلمان فردا من آل بيته[4]، وفي ذلك يقول أبو فراس:[5]

---

[1] – سورة الجمعة، الآية (3).

[2] – مشكاة المصابيح، (1750/3).

[3] – السيرة النبوية، لابن هشام (249/1-250).

[4] – في الحديث: (سلمان منا أهل البيت). رواه الطبراني والحاكم عن عمرو بن عوف ورمز السيوطي لصحته، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، (106/4).

[5] – ديوانه، ص (133).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كانت مودة سلمان له رحما ولم يكن بين نوح وابنه رحم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سر قـــــــــــوة الروم

عن المستور الفهري، أنه قال لعمرو بن العاص: تقوم الساعة والروم أكثر الناس، فقال له عمرو بن العاص: أبصر ما تقول. قال: أقول لك ما سمعت من رسول الله ﷺ. فقال عمرو بن العـــاص: إن تكن قلت ذاك، إن فيهم لخصالا أربع: إنهم لأسرع الناس كرة بعد فرة، وإنهم لخير الناس لمسكين وفقير وضعيف، وإنهم لأحلم الناس عند فتنة، والرابعة حسنة جميلة وإنهم لأمنع الناس من ظلم الملوك[1].
وفي رواية: (أشد الناس عليكم الروم، وإنما هلكتهم مع الساعة). فقال له عمرو: ألم أزجرك عن مثل هذا؟.[2]

الصراع الذي تعيشه الأمة الإسلامية مع الغرب والذي يهدد وجودها وكيانها كله يعود إلى قوة الروم وتماسكهم في صراعهم مع المسلمين، وهذا الحديث يكشف بإيجاز شديد أسباب تلك القوة، فهي تعود في رأي داهية العرب عمرو بن العاص إلى أمور أربعة:

الأول: الشجاعة النفسية والتي تجسدها إرادة القتال والتحفز للنصر عند شعوب الروم، فهي شعوب إذا غلبت لم تغمد سيوفها وتندب حظها وتشكو قدرها وتصاب بالإحباط واليأس، وإنما تعاود الكرة مرة بعد أخرى.

والثاني: التكافل الاجتماعي فهم أرحم الناس للطبقات الكادحة والمسحوقة في المجتمع، وهذا التكافل يولد تلاحما وتعاضدا بين المجتمع الواحد، حتى يبدو كأنه أسرة واحدة.

والثالث: إحكام القرار السياسي، فهم لا يتخذون قراراتهم إلا بعد تأن ودراسة، ولا تدفعهم الأحداث والفتن إلى اتخاذ قرارات ارتجالية قد يدفعون ثمنها غاليا.

والرابع: سيادة العدالة والقانون، حيث يمنعون ملوكهم من الظلم، ويأخذون على يد صاحب القرار إذا أراد أن يوردهم المهالك، فللشعب ممثلوه، والحاكم لا يملك سلطة مطلقة.

وأيم الله إن هذه الأمور الأربعة هي عماد كل حضارة دنيوية، وكأن عمر بن العاص رضي الله عنه أراد أن يفسر سبب قوة الروم وتسلطهم على هذه الأمة في آخر الزمان، وأما نهيه للراوي عن رواية هذا الحديث، فلعله كان يخشى أن يوهن في عزم الأمة في وقت ضرب الإسلام أوتاده في الأرض وتغلب على فارس والروم معا.

---

[1] – مسند الإمام أحمد، (230/1)، دار الفكر العربي، ورواه مسلم أيضا، انظر: فيض القدير، للمناوي، (265/3).

[2] – نفسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بيد أن هذه الغلبة كانت مؤقتة، وكأني برسول الله يحذر أمته كيد الروم، وكأني بعمرو بن العاص أيضا يحث بصورة غير مباشرة هذه الأمة على التمسك بمحامد القيم وذلك بالكشف عن سر التفوق عند الأمم الأخرى.

وقد تحقق ما أخبر به الرسول الكريم ﷺ، فالروم اليوم يملكون مفاتيح العالم، وأما المسلمون فقد سرى فيهم الوهن شيئا فشيئا، يفرون ولا يكرون، ولا يجد المسكين فيهم لقمة العيش، فبلادهم أضحت بلاد المجاعات والنكبات ودفن النفايات النووية، ويتخذون القرارات الارتجالية في المواقف الصعبة، وأما القادة فلهم السلطان المطلق، وهم في معظم الحالات فوق القانون.

والأمرُّ من ذلك كله أن يجد بعض المسلمين في بلاد الروم ملاذا آمنا لهم، ويحرمون منه في أوطانهم، حتى غدا ما قاله أبو فراس الحمداني حقيقة واقعة في عالمنا، حيث قال:[1]

إذا خفت من أخوالي الروم مرة تخوفت من أعمامي العرب أربعا

وإن أوجعتني من أعادي شيمة لقيت من الأحباب أدهى وأوجعا

[1] – مختارات البارودي، (86/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مزايا الشام واليمن

عن ابن عمر، قال: قال: رسول الله ﷺ: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا). قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا؟ قال: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا). قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: (هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان). رواه البخاري[1].

بعض المواقع والبلاد لها خصائص انفردت بها عما سواها، كما تميزت بعض الأزمنة عما سواها، وهذا الحديث خير شاهد في هذا الصدد، فقد دعا الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ للشام واليمن، وابتدأ بالشام، لأنها مهد الأنبياء عليهم السلام، وفيها المسجد الأقصى أولى القبلتين، وإليه كان الإسراء، ومنه كان العروج إلى السماء، وقد بارك الرحمن حوله، ورزق أهله من الثمرات، وأسبغ عليهم نعمه.

وفي الشام أيضا الفرقة الناجية المرابطة إلى قيام الساعة كما جاء في بعض الأحاديث الصحيحة، وفيها ينزل المسيح عيسى بن مريم ليقاتل الدجال، وهو ينزل كما جاء في صحيح مسلم: (عند المنارة البيضاء شرقي دمشق)[2]، وفيها يهلك الدجال، وإلى بلاد الشام تكون الهجرة في آخر الزمان، وهي مهاجر إبراهيم ــ عليه الصلاة والسلام ــ، ومثل هذه الأمور كفيلة بأن تجعل رسول الله ﷺ يدعو للشام بالبركة والنماء، فما هي إلا ظئر الإسلام إلى قيام الساعة.

وأما اليمن فهي بلاد الخير والرحمة والعطاء، أهلها من ألين الناس قلوبا وأرقهم أفئدة كما وصفهم رسول الله ﷺ، وقال عنهم: (الإيمان يمان والحكمة يمانية)[3]، وإذا كان أهل مكة قد نابذوا رسول الله العداوة، وأخرجوه من بلده هو وصحبه الأخيار، فإن المدينة التي استقبلتهم بالفرح والسرور، ومكن الله بها لدعوة الإسلام، هذه المدينة المباركة الطيبة كان جل أهلها من الأوس والخزرج وهما قبيلتان من اليمن، نزلتا في يثرب بعد خراب السد حسب ما ذكر ابن هشام في السيرة[4]، وبالتقاء المهاجرين مع الأنصار قامت دولة الإسلام في المدينة، وضربت جذورها في الأرض بعد ذلك.

وحسبك فضيلة لليمن وأهله أن يأمر النبي ﷺ أصحابه بأن يلتمسوا رجلا من أهل اليمن اسمه أويس القرني ليستغفر لهم، والحديث رواه مسلم عن عمر رضي الله عنه[5]، وهذه مزية لأويس، وهي أن يستغفر التابعي للصحابي، والمفضول للفاضل، رضي الله عنهم أجمعين.

وفي إضافة الشام واليمن إليه ــ عليه الصلاة والسلام ــ تشريف لكلتا البقعتين أيما تشريف، حتى كأنهما قطعة من بلاده، أو كأن بلاده قطعة منهما، وإرشاد لأمته بأن يعرفوا لكل أرض فضلها، وأن ينصهروا جميعا في وحدة الإسلام الذي جمعهم رغم تباعد بلدانهم عن بعضها البعض.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1766/3).

[2] – انظر: مشكاة المصابيح، (1508/3).

[3] – متفق عليه عن أبي هريرة، انظر: مشكاة المصابيح، (1765).

[4] – انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (20/1-26).

[5] – انظر: مشكاة المصابيح، (1765/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصر بوابة الإسلام في إفريقيا

عن أبي ذر، قال: قال: رسول الله ﷺ: (إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط[1]، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لها ذمة ورحما[2] ــ أو قال: ذمة وصهرا ــ، فإذا رأيتم رجلين يختصمان في موضع لبنة[3] فاخرج[4] منها). قال[5]: فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة، فخرجت منها. رواه مسلم[6].

هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد بشر رسول الله ﷺ بفتح مصر وفتحت، وخبر عن حادثة معينة تحصل بعد الفتح، وأمر أبا ذر بالخروج من مصر إذا رأى تلك الحادثة رأفة بحاله، وقد حصلت تلك الحادثة، وامتثل أبو ذر رضي الله عنه الأمر النبوي الكريم فغادر مصر بعد ذلك.

لقد كانت مصر من أعظم ممالك الأرض في ذلك العصر، وفتحها كان حدثا عظيما اندفعت عقبه أمواج الفاتحين باتجاه القارة الأفريقية، فانتشر الإسلام في أرجائها، وخرج الأفارقة من عزلتهم، وانخرطوا في جيش الفاتحين، وعبروا من إفريقية نحو أوروبا التي كانت تغزوهم ولا يغزونها، وتتخذ منهم العمال والعبيد، فإذا بهم يأتون لتحريرها من رجس الجهل والخرافة وظلم الكنيسة وقهر السلطان، فعبروا إلى الأندلس، وأقاموا فيها صرح حضارة العلم والإيمان شامخا في جنوب غرب أوروبا، وما زالت آثارهم شاهدة في الأندلس على الإنجازات العظيمة التي قدمتها الحضارة الإسلامية للغرب وللعالم كافة.

إن مصر بوابة الإسلام في إفريقية، ولا عجب إذا من وصية النبي بأهلها، لأنهم سيكونون جند الإسلام وحملة رايته بعد أن دخلوا فيه أفواجا، ووجدوا فيه ملاذهم وأمنهم وهويتهم ومجدهم.. وبشائر أصالة شعب مصر ضاربة في جذور التاريخ، أليست هاجر أم العرب من مصر؟ ألم تكن وحدها مع رضيعها إسماعيل حين وضعها إبراهيم عليه السلام في واد غير ذي زرع وغادرها إلى فلسطين؟ ألم تكن تلك المرأة العظيمة رابطة الجأش، قوية الإيمان، وفية لزوجها، أمينة على ولدها، حين تحملت المسئولية وبقيت بمكة امتثالا لأمر الله عز وجل الذي أمر إبراهيم بذلك؟.

واستمرت عراقة المصريين عبر التاريخ، فاحتضنوا من الأنبياء يوسف عليه السلام، ومن بعده موسى وهارون عليهما السلام، وغيرهم من الأنبياء والصالحين، وكانوا في أشد ساعات الظلم الفرعوني يمتون إلى الرحمة بسبب، فلا تعدم أن تجد في بلاط فرعون رجلا مؤمنا ينهى قومه عن قتل موسى عليه

---

[1] – هو نصف عشر دينار، قال القاضي: (أي يكثر أهلها ذكر القراريط في معاملاتهم لتشددهم فيها وقلة مروءتهم). انظر: مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (204/11).

[2] – ذمة: حرمة وأمانا من جهة إبراهيم ابن النبي عليه السلام، ورحما من قبل هاجر أم إسماعيل عليه السلام، فإن هاجر ومارية كانتا من القبط. انظر: مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (204/11).

[3] – الآجرة قبل أن تطبخ.

[4] – أي يا أبا ذر. ولعله عليه السلام خص الأمر به شفقة عليه من وقوعه في الفتنة لو أقام بينهم كما ذكر القاري.

[5] – أي: أبو ذر.

[6] – مشكاة المصابيح، (1662/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السلام، بعكس فراعنة عصرنا الحاضر، قال تعالى: (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)[1]

فلما كانت البعثة النبوية الشريفة، بادر المقوقس ملك مصر بالتقرب إلى النبي عليه السلام، فأرسل إليه مارية القبطية وأختها سيرين مع بعض الهدايا، فأهدى النبي عليه السلام سيرين لحسان بن ثابت، وبنى في مارية فولدت له ولده إبراهيم عليه السلام، إبراهيم الذي دمعت عينا النبي عليه السلام عند وفاته، وخبر بأن له مرضعا في الجنة[2]. يا لعظمة مصر! تأبى إلا أن تمت إلى الأنبياء بسبب من قربى ونسب! فمثلما صاهرت أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فهي تصاهر خاتمهم محمدا عليه السلام أيضا، وجدير بشعب كان سلفه وخلفه يعشق القرب من الأنبياء عليهم السلام أن ينال من عطف النبوة ورعايتها الحظ الوافر، وأن تكون له الحظوة عند أهل الأرض كما كانت له عند أهل السماء.

---

[1] – سورة غافر، الآية (28).

[2] – انظر: مشكاة المصابيح، (1731/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الرابع
الحـــياة الاجتـــماعية

دين الحضارة والمدنية

قال رسول الله ﷺ: (من سكن البادية جفا).[1]

نود قبل أن نبدأ بالحديث عن موقف الدين من الحضارة أن نذكر تعريفا للحضارة، وهنا نرجع إلى قول القُطامي:

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا

قال المبرد في التعقيب على هذا البيت: "قوله: الحضارة يريد: الأمصار، وتقول العرب: (فـــلان باد، وفلان حاضر)، وفي الحديث: (ولا يبيعن حاضر لباد) وتأويل ذلك: أن البادي يقدم وقد عـــرف أسعار ما معه، وما مقدار ربحه، فإذا جاءه الحاضر، عرفه سنة البلد، فأغلى على الناس. ومثل ذلـــك: النهي عن تلقي الجلَب، ومثله: (دعوا عباد الله يصب بعضهم من بعض)"[2].

وقال الفيروز آبادي: "الحضارة: الإقامة بالمدن".[3]

ونلحظ من التعريفين: أن الحضارة هي الإقامة مع أهل المدن، أي هي بمعنى الاستقرار في بقعة مـــا مـــع الآخرين والتعايش معهم ضمن قوانين تحكمهم، وعمران يضمهم، وقد ذكر المبرد أن ثمة أحكام خاصة للبدو في الشريعة الإسلامية في البيع والشراء، وذكر الفقهاء لهم أحكاما أخرى، فلا تجب عليهم صـــلاة الجمعة، لأن من شروطها التوطين، وهو أن يكون الناس (بقرية مستوطنين بها، مبنية بما جرت به العـــادة، فلا تتم من مكانين متقاربين، ولا تصح من أهل الخيم وبيوت الشعر ونحـــوهم، لأن ذلـــك لم يقصـــد للاستيطان غالبا، وكانت قبائل العرب حوله عليه السلام و لم يأمرهم بها).[4]

فمن فوائد المدن والعمران التقاء الناس واجتماعهم، مما ينجم عن اللقاء التعارف والتآلف والتعاون والرقي الإنساني، و لم نعلم أن الله أرسل نبيا في البادية، وإنما أرسلهم في القرى حيث يلتقي الناس، وبعث خـــاتم رسله عليه السلام، وأنزل عليه خاتمة كتبه (القرآن الكريم) في أم القرى وهي مكة المكرمة، و لم يـــترل في الصحراء الخالية من السكان، بل لقد نزل القرآن في مجتمع مكة وهو مجتمع مدني متطور، يمـــارس أهلـــه

---

[1] – رواه أحمد عن ابن عباس، ورمز له السيوطي بالحسن، انظر: فيض القدير، (153/6). ورواه الترمذي وقال: حـــديث حسن غريب، ولفظه: (..فقد جفا). ورواه أبو داود أيضا، انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، (532/6-533).

[2] – الكامل، للمبرد، (39/1).

[3] – انظر: القاموس المحيط، مادة (حضر).

[4] – الروض المربع، للبهوتي، ص (84).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التجارة، ولديهم الثروة والقروش[1]، ولديهم البيوت الفخمة والعبيد، والجواري والمغنيات مما لدى الأمم الأخرى، وليس في مجتمع بدوي متشتت، والنبي ﷺ كان مع التوطين والمدنية كما جاء في هذا الحديث.

وفي هذا الحديث تنفير من سكنى البادية، والابتعاد عن الناس، قال المباركفوري في شرح الحديث وبيان مغزاه: (قوله: من سكن البادية فقد جفا، أي: جهل، قال تعالى: {الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله}[2] قاله القاري، وقال القاضي: جفا الرجل إذا غلظ قلبه، وقسا، ولم يرق لبر وصلة رحم، وهو الغالب على سكان البوادي، لبعدهم عن أهل العلم وقلة اختلاطهم بالناس، فصارت طباعهم كطباع الوحوش، وأصل التركيب للنبو عن الشيء)[3].

وقد ذهب الإمام ابن تيمية إلى أن الإقامة بالمدن أفضل لما فيها من فوائد، فقال: (فيه أن سكنى الحاضرة يقتضي من كمال الإنسان في رقة القلب وغيرها ما لا تقتضيه سكنى البادية، فهذا الأصل موجب كون جنس الحاضرة أفضل من جنس البادية، وقد يتخلف المقتضى لمانع).[4]

ونحن نخلص من هذا كله إلى أن دين الله يحبذ الاجتماع والعمران، لما في ذلك من مصلحة دنيوية للناس، حيث يتعاونون وينجزون ويتعلمون ويتخصصون، بخلاف أمرهم لو كانوا فرادى بالبوادي، فهم يحرمون من هذا كله، كما أن لهم مصلحة دينية وهي حضور الجمع والأعياد، وإقامة دولة الحق، والتعاون على الجهاد في سبيل الله، وهو أمر لا يمكن تحقيقه إلا مع الجماعة، ومن هنا كان الإسلام دوما مع الاجتماع والعمران والتعاون والتآلف، فهو بحق دين الحضارة والمدنية عبر التاريخ كله، وإلى يوم الدين.

---

[1] – من القرش اشتقت كلمة قريش، جاء في أساس البلاغة، مادة: (قرش): (فلان يقرش لعياله، ويقترش، ويتقرش: يكتسب ويجمع من هنا ومن هنا).

[2] – سورة التوبة، الآية (97).

[3] – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، (532/6).

[4] – فيض القدير، (153/6).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقيقة الدنيا في تصورات أهلها

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر). رواه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه[1]

الناس في هذه الدنيا فريقان: مسلم يراها سبيلا للآخرة، وهي لا تعدو أن تكون أكثر من محطة في طريقه إلى النعيم الخالد، وكافر يراها غايته ومنتهاه، ومحطته الأولى والآخرة، وعليه أن يغتنم ملذاتها ولا يفكر فيما سواها.

وبين الفريقين اختلاف كبير في التصورات والسلوك والأهداف، فالأول ربما حرم نفسه كثيرا من الأمور، وتحمل كثيرا من الشدائد، من أجل أن يصل إلى دار الأفراح وهي الجنة، حيث لا تعدو الدنيا بجانبها أن تكون أكثر من سجن صغير كانت محبوسة فيه، فأنجاها الله منه، وحباها جواره في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وأما الفريق الآخر فيرى ضرورة الاستمتاع بكل ما لذ وطاب من متاع الدنيا، ونب1ذ كل العقائد والأديان التي تحول بينه وبين الاستمتاع بمباهج الحياة، لأن العمر فرصة لن تتكرر، ولا بد من اغتنامها قبل زوالها.

وحقيقة الأمر أن الدنيا ضئيلة بجانب الآخرة، وأن جحود الآخرة لا يلغيها، فهي حق لا ريب فيه، وأن ما في الدنيا من متاع لا يعد شيئا إذا قورن بما في الجنة من متاع، وأن المؤمن أطيب أوقاته يوم تتنزل عليه الملائكة بالبشرى في الجنة وهو في الرمق الأخير من الحياة، بينما يكون الكافر في أتعس حالاته وهو يغادر إلى الآخرة التي جحدها.

ولا يعني تشبيه الدنيا بالسجن ترك السعي والعمل، وتعطيل الكسب وحركة الحياة، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم البناة الأوائل لحضارة الإسلام، ومارسوا الزواج والتجارة والزراعة وأنشطة الحياة المختلفة، فلا رهبنة ولا انقطاع عن الحياة، وإنما انهماك فيها، وعبادة الله من خلالها، إذ ليست العبادة مجرد الشعائر الخمسة، ولكن كل حركة في الحياة قد تكون عبادة إذا ما قصد بها المسلم وجه الله تعالى. فالمسلم في عبادة دائمة، وسعي دائم لإصلاح الناس ودعوتهم إلى الخير.

ومثل هذا الحديث يحرك في نفس المؤمن حافز العمل للآخرة، ويعطيه قدرا من المواساة لما يلاقيه من شدائد على وجه الأرض، فلا يحزن عما افتقده في الحياة، ويعلم أن الله سيعوضه بما هو خير منه، فيمضي واثق الخطوات في حياته، مطمئن النفس، لأنه يتطلع إلى جنان النعيم، فهل ثمة شيء يولد القدرة النفسية الدافعة ويقاوم الإحباط خير من هذا الحديث الشريف؟

---

[1] – فيض القدير، (546/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التحديات الداخلية التي تواجه الأمة المسلمة

عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض[1]، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم[2]، وإن ربي قال: يا محمد! إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا). رواه مسلم.[3]

وعن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين: سيفا منها، وسيفا من عدوها[4]). رواه أبو داود[5].

تواجه عامة الأمم عبر التاريخ تحديات ثلاثة هي الأخطر من بين سائر التحديات:

الأولى: تحديات اقتصادية، وأبرزها ما يهدد الأمن الغذائي والمتمثل بالقحط، وهو أمر كان شديد الخطر على حياة الأمم وبخاصة في العصور القديمة التي كانت تعتمد على الزراعة البدائية التي تؤتي غلالها بواسطة المطر، فإذا انقطع المطر صار مصير الإنسان مهددا، وربما احتاج إلى الرحيل طلبا للمرعى والسقيا.

والثانية: تحديات سياسية، وأشدها الغزو الخارجي، حيث كثيرا ما يغير الملوك على بعضهم بعضا، ويكون النصر غالبا حليف من هو أقوى عددا وعدة، فتبيد الممالك وتشرد الشعوب بسبب الأطماع الخارجية، والحروب العدوانية، ولذلك يبقى هاجس الأمن أكثر ما يقلق أهل الملك، وهم ينفقون الأموال الطائلة على الجيوش التي ربما ربما ترابط زمنا طويلا خشية من ساعة الصفر التي قد يباغت بها العدو.

والثالثة: تحديات داخلية، وأخطرها النزاع والتناحر العرقي والطائفي، والتنافس على السلطة، والفراغ النفسي والروحي الذي يضيع الناس وتتيه فيه الخلائق، وهذا النوع من التحديات إذا لم تتم معالجته

---

[1] – هما: الذهب والفضة، وقال التوربشتي: (يريد بالأحمر والأبيض: خزائن كسرى وقيصر، وذلك أن الغالب على نقود ممالك كسرى الدنانير، والغالب على نقود ممالك قيصر الدراهم). انظر: مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (51/11).

[2] – قال الطيبي: (أراد بالبيضة: أي مجتمعهم موضع سطاهم ومستقر دعوتهم، وبيضة الدار: وسطها ومعظمها، أراد عدوا يستأصلهم ويهلكهم جميعهم). انظر: مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (51/11).

[3] – مشكاة المصابيح، (1602/3).

[4] – قال القاري: (أي بل اختار الله الأيسر منهما، وهو السيف منها، دون السيف من غيرها على وجه الاستئصال، وإلا فقد يجتمعان في بعض الأحوال، ففيه إشارة إلى بقاء الملة، وبشارة في حفظ هذه الأمة إلى يوم القيامة). انظر: مرقاة المفاتيح، (57/11).

[5] – مشكاة المصابيح، (1603/3-1604).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يسبب فناء الأمة وتمزقها من داخلها، ويضيع الأمن وينتشر الفساد، مما يجعل الأمة تهوي حضارتها، وتضيع كرامتها، وتبتعد عن ممارسة دورها الحضاري مع الآخرين.

والأمة الإسلامية حفظها الله تعالى من الخطرين الأوليين، وهما الهلاك بسبب القحط، أو الغزو الخارجي، وذلك أن الله تعالى أطعم أهل الجاهلية وكانوا في واد غير ذي زرع، وآمنهم من خوف و لم تكن هنالك دولة، فكيف وقد أنعم الله عليهم ببعثة نبيه عليه السلام، وأنزل إليهم كتابه، وأقام لهم دولة الحق، ونشر دينهم في مشارق الأرض ومغاربها، وأخرج لهم كنوز الأرض، كيف يجوعون بعد هذا كله؟ وكيف يفقدون الأمن؟ وهم يسبحون الله وهو الذي بسط النعم ووعد بالزيادة عند شكرها؟ إذا لا خوف على هذه الأمة من جوع وعدوان، قد تمر ببعض الأقطار الإسلامية شيء من الجوع والخوف، فيهب المسلمون لمساعدة تلك الأقطار، أما أن يصيب الجميع هذا البلاء فهو ما لم يحصل عبر تاريخ الإسلام، فحين هاجم الصليبيون المشرق الإسلامي، ومن بعدهم التتار، حفظ الله بلاد الحرمين واليمن ومصر وما وراءها، واستطاع المسلمون التصدي لذاك الغزو، وتجمعوا وتعاونا وطردوا أصحابه، وحين جاء الاستعمار المدجج بالتكنولوجيا في العصر الحديث وسيطر على كامل العالم الإسلامي، هب المسلمون لمقاومته بأسلحة بدائية، و لم يمض وقت طويل حتى تحرروا من الاستعمار البغيض، فالمسلمون لا خطر على وجودهم من غزو خارجي، ولو أن هذا الغزو استطاع يوما ما أن يطيح بالخلافة في بغداد، فقامت بعدها بمصر وتركيا، بل ربما وحدهم الغزو الخارجي وجعلهم يشعرون بوحدتهم الإسلامية، فتعلو راية الجهاد وينتصر لواء الحق، ويندحر الغزاة أمام قوة المسلمين، إذا لن تكون هنالك قوة تستطيع استئصال المسلمين من الأرض، وإذا استؤصل الإسلام من بلد، فتحت أمامه بلاد، وهذا من فضل الله الذي تعهد بحفظ دينه، وإيجاد من يلوذ به ويدافع عنه إلى يوم الدين.

فما هو الخطر الذي يتهدد المسلمين فعلا، إنه الخطر الداخلي المتمثل بالصراعات الطائفية والحزبية والقبلية والعرقية والمذهبية التي تنخر في جسد الأمة منذ زمن بعيد، حتى صارت خير أمة أخرجت للناس في مؤخرة الركب، يضرب بها المثل في التخلف، ويشرد منها رجال الفكر والمال، ويعيث فيها أهل الظلم والفساد، هذا هو التحدي الحقيقي الذي يواجه الأمة المسلمة اليوم، ونحن نأبى أن نقر به، فنلوم أعداءنا دوما، ونحمل أخطاءنا على التاريخ مرة، والواقع مرة أخرى، والتآمر الخارجي مرة ثالثة... ونأبى أن نقر بأن أزمتنا من عند أنفسنا، حتى صرنا أمة لا هم لها إلا أن يغزو بعضها بعضا، ويسفك بعضها دم بعض.. إن أمم الأرض جميعا بلا استثناء لها مشاكلها التاريخية والاجتماعية، ولا تخلو أمة من عدو يتربص بها، ومع هذا استطاعت الأمم أن تخطو على طريق الحضارة والتقدم، وأما أمتنا فلا زالت تراوح في مكانها، وتلقي اللوم في تخلفها على عدوها، ترى هل كان الإسلام يوما بلا أعداء؟ بالطبع لا، وليس ثمة أعداء له كحاله الأولى، وبخاصة يوم حوصر في المدينة على يد الأحزاب، حيث لو تم لقريش ما أرادت لوئدت الدعوة منذ ذلك اليوم، ولكن الله حفظ الدعوة، ومن حفظه لها أن هيأ لها قائدا حكيما ونبيا عظيما هو محمد عليه السلام، فاستطاع رغم الجراح والشوك، والتآمر والخيانات، أن يسير باتجاه النصر في أحلك الساعات، وذلك من فضل العزيز العليم.

إن الواجب يقتضي على هذه الأمة التي حفظ الله لها أمنها الخارجي، ووقاها شر القحط والجدب، ونشر لها دينها في مشارق الأرض ومغاربها، أن تبادر إلى تصحيح أخطائها الاجتماعية، وتعزز الحوار فيما بين أبنائها، وتتماسك لبناتها الداخلية أما مختلف الفتن والمؤامرات، وأن تكف عن الاقتتال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الداخلي بين دولها وأحزابها وطوائفها، فهذا هو سبيل النجاة الوحيد لها إذا أرادت أن تخطـــو في درب الحياة، وأن تعود للصدارة من جديد.

رعـــــــــــاية الأيتام

عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا وكافل اليتيم له ولغيره في الجنة هكـــذا) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا. رواه البخاري.[1]

العناية بالأيتام واجب ديني، وضرورة اجتماعية، فلا شيء يستحق العناية والرعاية كاليتيم الذي فقد أباه.

فالأب هو رئيس الأسرة، وراعيها الأول وبانيها ومنشئها، فإذا رحل عن الحياة تضعضع كيان الأسرة، وربما تركت الأم أطفالها وتزوجت رجلا آخر، فصار اليتيم أكثر عرضة للضياع والتعاسة، لذا ينبغي على الأقرباء والوصي على اليتيم ومن حوله من الناس أن يبذلوا المزيد من الجهد لمراعـــاة هـــذا اليتيم، وتوفير ما يحتاجه من سكن وطعام وملبس حتى يصبح قادرا على الكسب في الحياة.

وقد ضمن الرسول ﷺ لكافل اليتيم مرافقته في الجنة، وذلك من أجل أن يهتم الناس بالأيتـــام ويقدموا لهم الأمن والرعاية، فليس ثمة أحد أحق بالرعاية والتكريم من اليتيم الذي نشأ بلا أب يضـــمه ويحنو عليه ويرعاه في هذه الحياة.

وإنها للفتة حانية كريمة من الرسول العظيم ﷺ الذي ولد يتيما فآواه ربه ورعاه، وهيأ له مـــن الرعاية والعناية الإلهية ما جعله ينشأ نشأة سوية ليكون رسول رب العالمين، فيحنو على الأيتام والأرامل والضعفاء، ويتحسس جراح المعذبين في الأرض، ويدعو إلى رحمة المساكين والمستضعفين، ويعد المحسنين إلى هؤلاء بالجنة، والمحسنين إلى الأيتام بخاصة أكثر قربا إلى حضرة النبـــي ﷺ في الجنة من غيرهم، فهو بحق رسول الرحمة، ورسول الإنسانية، ورسول الحب والسلام بين الناس.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (3/1384-1385).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شريعة الإحسان إلى المستضعفين

عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: (أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني) رواه البخاري[1].

إن من خصائص هذه الشريعة الخالدة مراعاة أحوال الإنسانية في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والنهوض بها في الحالتين، عن طريق توطيد أواصر العلاقات الإنسانية بين الناس.

فالجائع كان ذات يوم شابعا، ثم تحول الدهر عليه فجاع، إما لأنه لم يجد عملا، أو أنه عاجز عن العمل، أو أصابت بلاده كارثة طبيعية من زلزال أو بركان ونحو ذلك، أو كارثة اجتماعية من حرب أو مجاعة، فتحول إلى جائع يبحث عما يسد به بطنه، ويبقي له رمق الحياة، وهنا أمر الإسلام بمساعدته لكي تبقى المودة قائمة بين الناس، ولا يتحول الجائع إلى لص أو مجرم ينتزع لقمة العيش عنوة حين لم يعطها بالسؤال.

والمريض كان يوما ما على رأس عمله، يمارس حياته بشكل اعتيادي، ثم صار طريح الفراش، لا يراه الناس ولا يراهم، فهو يعاني من عزلة اجتماعية وغربة نفسية، ولذلك ينبغي على زملائه في العمل ومن يلوذون به عيادته، وحبذا لو اصطحبوا معهم هدية له، من أجل أن يشعر بالترابط مع الآخرين، ولا يقتله الشعور بالمرض واليأس، فيظن أن دوره قد انتهى من الحياة، أو أن الناس كلهم عبيد لمصالحهم العاجلة فقط، فحيث تغيب أحد عنهم ولا مصلحة لهم عنده قطعوه.

والعاني هو الأسير الذي كان ذات يوم بين يدي أحبابه، فصار مصيره بين يدي أعدائه، وقد حض الرسول المعلم ﷺ على إطلاق الأسرى، ومارس ذلك بنفسه، حيث أطلق كثيرا ممن أرادوا قتله وإيذائه، من هؤلاء ثمامة بن أثال ملك اليمامة، والذي أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، إنه لمن الضروري أن يحس الأسير بين أيدي أعدائه بشعور الرحمة، وأن الحياة إذا اقتضت الحروب والصراع مما قد يجعل المرء أسيرا بين يدي أعدائه، فإنها تقتضي أيضا العفو والرحمة، لأننا في النهاية مجتمع إنساني واحد، يجب أن يتميز ولو قليلا عن مجتمع الغابة الذي لا منطق فيه لغير القوة والافتراس، ولذلك أطلق صلاح الدين الأيوبي ملوك الصليبيين من الأسر، ولقنهم درسا بالتسامح لم يتعلموه من قبل، فكان حاله معهم كما قال المتنبي:[2]

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم
ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

---

[1] – مشكاة المصابيح، (483/1).

[2] – مختارات البارودي، (14/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يشمل الإحسان هذه الأصناف من المستضعفين فقط، بل يشمل كافة مناحي الحياة، فالإحسان في الهدي النبوي يشمل كل شيء في الحياة، بما في ذلك مساعدة الناس وإبعاد الأذى عن الطرقات، روى أبو هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: لأنحين هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة). متفق عليه.[1]

لقد كان المسلمون حماة لمكارم الأخلاق في هذا العالم الضطرب، وستبقى هذه رسالتهم إلى يوم الدين، لأن قيم الرحمة والعفو والكرم لا تعرفها الأمم المتوحشة التي ترفع راية حقوق الإنسان من جهة، وتخترع من الأسلحة الفتاكة ما يبيد الإنسان والبيئة معا من جهة أخرى، مما جعل أحدهم يسخر من هذا الفصام القائم بين الشعارات والممارسات فيقول:

ما أعجب الإنسان يعلن مبدأ

حرا ويسكر من دم الإعلان

ولله الأمر من قبل ومن بعد.

[1] – مشكاة المصابيح، (595/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رفض العقاب الجماعي

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (قرصت نملة نبيا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله تعالى إليه: أن قرصتك نملة فأحرقت أمة من الأمم تسبح؟) متفق عليه[1]، وزاد في مسلم: (فهلا نملة واحدة!).

من مبادئ العدالة ألا يعاقب أحد بذنب غيره ولو كان المعَاقب حيوانا أو حشرة صغيرة كالنمل، وهذا الحديث يؤكد على هذه القضية، فيبدو أن نملة ــ ربما كانت سامة ومن النمل ما هو سام وقاتل ــ قرصت نبيا من الأنبياء، فقام بتدمير قرية النمل، تماما كما نصنع نحن اليوم برش المبيدات على مخابئ الحشرات بغرض القضاء عليها نهائيا، فعاتبه ربه على هذا الأمر، لأنه أهلك أمة تسبح لله ولا ذنب لها فيما حصل، وكان ينبغي أن يقتل نملة واحدة وهي التي قرصته لا أكثر.

وفي هذا الحديث فوائد عدة، منها:

1- أن تكون العقوبة على المتسبب بالأذى دون غيره من بني جنسه.

2- أن الإحراق مرفوض من الخلق، فلا يعذب بالنار إلا الله تعالى.

3- وفيه بيان لأهمية النمل وأنه من الأمم المسبحة لله، وهنالك سورة في القرآن سميت باسم النمل وحكت عن عالم النمل العجائب، فهو عالم يتناصح فيما بينه، ويتعاون على الخير.

4- وفيه أن الأنبياء بشر، وهم معصومون من الكبائر والذنوب كلها، فإذا بدرت من بعضهم بعض الهنات اليسيرة ــ بحكم أنهم بشر ــ مما لا يؤثر في سيرتهم، ولا يقدح بعصمتهم، نبههم الله تعالى وعاتبهم على ما فعلوا، وذلك لأنهم موضع وحي الله، وفي مكان القدوة بين الناس، فلا بد أن يكونوا في مركز الكمال دائما.

هكذا يريد الله أنبياءه دعاة خير وسلام على وجه الأرض، لا يتأذى منهم حتى الحشرات، وهل ثمة تربية خير من تربية رب العالمين لعباده، فنحن في عصر التقدم والتكنولوجيا سمعنا عن جمعيات لرعاية حقوق الحيوان، ولكننا لم نسمع أبدا عن شيء يتعلق بالحشرات، بل إن المبيدات للحشرات ومنها النمل تزداد في الأسواق يوما بعد يوم، وليس معنى هذا أننا ضد مكافحة الحشرات الضارة، ولكننا ضد القتل الجماعي والإبادة الجماعية لما هو نافع من تلك الحشرات ولا يتسبب بالأذى للإنسان، ومن ذلك النمل في البراري ما لم يكن في البيوت وخزائن الثياب، ومن باب أولى فنحن ضد قتل الإنسان لأخيه الإنسان، واستعمال الأسلحة الجرثومية والفتاكة التي تقتل الناس في مخابئهم كما لو أنهم حشرات!.

---

[1] - مشكاة المصابيح، (1202/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمة متميزة بسلوكها الإيجابي

عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا) رواه الترمذي[1].

الإمعة هو الذي يتابع كل ناعق، ويقول لكل أحد أنا معك، لأنه لا رأي له يرجع إليه، وزنه فِعلة كديمة، ومعناه المقلد الذي يجعل دينه تابعا لغيره، بلا روية ولا تحصيل برهان حسب ما ذكر الزمخشري في الفائق[2].

وقد أراد الرسول ﷺ من أمته أن تكون أمة متميزة بشخصيتها وهويتها الحضارية والدينية والثقافية والسلوكية، أمة لا تندفع نحو الهواء والدعاية والشائعات، ولا تحكمها الأغراض والمصالح المادية العاجلة، وتتجنب ردة الفعل السيئة على المغرضين الفاسدين، ولها من الثوابت والقيم ما يرسم لها سلوكها اليومي والمستقبلي، ويحميها من الانزلاق في مواطن الفتن التي تزل بها الأقدام.

إن الأمة المسلمة ينبغي أن تكون علاقاتها مع الآخرين قائمة على تقديم النفع والهداية والمساعدة للأمم الأخرى، وألا تتصرف بهمجية وانتهازية الأمم الأخرى التي لا تقيم للأخلاق وزنا عندما تتعارض مصالحها مع القيم الأخلاقية النبيلة، وكذلك الفرد المسلم ينبغي أن تكون علاقاته بأفراد مجتمعه قائمة على تقديم النفع لهم، وتجنب الإيذاء والضرر حتى لو ابتدؤوا به، وبادروا إليه.

والأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل كانت بحق أمة الخير والنفع للآخرين، وهي اليوم بحاجة إلى أن تحافظ على أصالتها وقيمها في طوفان الإعلام والعولمة الزاحفة إليها، لتبقى كما أراد لها نبيها العظيم ﷺ أمة متميزة بدينها إلى قيام الساعة.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1418/3).

[2] – انظر: مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (322/9).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أدوات الفاحشة وخطورتها

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تَمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه). متفق عليه.
وفي رواية لمسلم قال: (كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتَمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه).[1]

الفاحشة هي من أسوأ ما ابتليت به المجتمعات الإنسانية، وهي عمل حيواني هابط يدمر الأسرة والمجتمع، وينشر الأمراض والأوبئة، وتجب سخط الرب وعقوبة التشريع الرباني في الدنيا والآخرة.

والفاحشة ليست مقصورة على العمل المشين في اللقاء غير الشرعي بين الرجل والمرأة، بل العمل المشين هو ثمرة مقدمات من الفواحش قبله، مهدت له السبيل، فالنظر إلى المحرمات يجعل العين شريكة بالزنا، والاستماع والمحادثة يجعل السمع واللسان شريكان في الزنا، والمصافحة باليد يجعل اليد شريكة بالزنا، والمشي بالرجل يجعلها شريكة بالزنا، وتتمة ذلك قد يكون بفعل الحرام والعياذ بالله من ذلك كله.

إذا فالمحادثة والمصافحة والمشي للمواعيد والكلام والسماع الذي يقود إلى الفاحشة كله له سبب في الفاحشة، ولكل جارحة حظ من هذا الإثم بقدر اشتراكها فيه.

والتخلص من جريمة الزنا تقتضي التخلص من مقدماته، فيحفظ الإنسان بصره عن المحرمات، وكذلك سمعه ولسانه ويده ورجله لكي لا يقع في تلك الرذيلة والعياذ بالله تعالى.

ولمحاصرة الجريمة والحد منها ينبغي أن تتعاون أجهزة المجتمع كافة في هذا السبيل، فتكف وسائل الإعلام عن الحسناوات والمتعريات إلا من أقل اللباس، ولا ترسل الأغاني الهابطة المهيجة للغرائز، والأفلام الخليعة الناقضة للطهارة، وتتعاون أجهزة المن في مراقبة من يتحرش بالفتيات في الأزقة والأسواق، ويتم محاربة التسكع في الطرقات والأزقة، وتراقب أجهزة الهاتف والبريد بشكل فعال، كل هذا يؤدي للتقليل من الجريمة التي باتت تستشري في العالم اليوم كالنار في الهشيم.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (32/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شمول التعاليم الدينية للحياة

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، لتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع). متفق عليه.[1]

الإسلام دين ودنيا، يعلم الناس قواعد المدنية كما يعلمهم مبادئ الدين، فلا فصام بين العقيدة والشريعة وبين الواقع والحياة، بل هما متحدان اتحادا كاملا في ديننا الحنيف، وهذا الحديث مما يوضح ذلك، فالعرب كانوا يمشون حفاة عراة لا يكادون يعرفون من قواعد التحضر شيئا مقارنة بغيرهم من الأمم، وبخاصة أعراب البوادي، الذين تفرض عليهم ظروفهم القاسية من شظف العيش، وفقر البيئة، وكثرة التنقل في الصحراء، أن يكونوا بمعزل عن المدنية ورغد العيش ورقي الحضارة، فأراد النبي ﷺ أن ينقلهم إلى أعلى درجات التحضر والرقي النفسي والاجتماعي، فعلمهم أسس التحضر والآداب الاجتماعية، و لم يترك صغيرة أو كبيرة إلا وبينها لهم، ومن ذلك حديثه عن طريقة لبس النعال، وأن تبدأ اللبس باليمنى حبا بالتيامن في كل مظاهر الحياة، التيامن المشتق من لفظ اليمين والذي يفيد معنى الخير والبركة والعطاء، وأن تنتهي باليمنى عند النزع لتكون الخاتمة من جنس البداية تيامنا وتفاؤلا بالخير.

و لم يقتصر تعليم النبي لهم على لبس النعال فقط، بل أمرهم أيضا أن لا يمشوا بنعل واحدة!، وعلمهم قواعد النظافة وآداب الخلاء والغسل، وأمرهم بالسواك والطيب، وبأن ترتسم البسمة على وجوههم عند لقاء بعضهم بعضا، وأن يتبادلوا التحية فيما بينهم، ويختاروا أطيب الكلام، و لم يدع شيئا فيه تحسين لصورة الإنسان وتحبيبه إلى الآخرين إلا وأمرهم به ﷺ، وذلك أن النبي عليه السلام يريد مجتمعا متحضرا راقيا متعاونا نظيفا متحابا، لأن مثل هذا المجتمع هو الذي سيحبب الناس بالإسلام، فيدخلون في دين الله أفواجا.

ما أعظم هذا الدين الذي يترع للخير في كل أعمال الإنسان! وما أعظم نبيه الذي لم يغفل شيئا مما علمه ربه، فقد بلغ كل شيء! وما أضيع بعض أبناء هذه الأمة لرشدهم عندما يعرضون عن هدي محمد عليه السلام ويلتمسون فلسفة الحضارة من أحفاد القردة والخنازير! فقد رأينا في عصرنا العجب مما يسمونه رقيا وتجديدا في عالم الأزياء، وبعضه مما لا يناسب الذوق السليم، حتى صار لباس المرقع والممزق هو الرقي في عصر لم يعد فيه ثمة مقاييس ثابتة للذوق والجمال!.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1259/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الآداب الاجتماعية

عن جابر، أن النبـــي ﷺ قال: (من أكل ثوما أو بصلا، فليعتزلنا) أو قال: (فليعتزل مسجدنا، أو ليقعد في بيته). وإن النبـــي ﷺ أتي بقدر فيه خضرات من بقول، فوجد لها ريحا، فقال: (قربوها). إلى بعض أصحابه، وقال: (كل، فإني أناجي من لا تناجي). متفق عليه[1].

الإسلام هو دين الذوق والآداب الاجتماعية، وهو يريد من المسلم أن يكون محبوبـــا حيثمـــا جلس، بعيدا عن كل ما ينفره من الناس، أو ما ينفر الناس منه، ومن ذلك الروائح الكريهة مثل روائح الثوم والبصل التي تجعل الآخرين يتأذون بها، وذلك حرصا على مشاعر الناس من جهة، إذ قد يبـــدون امتعاضهم وسخطهم من صاحب الروائح الخبيثة، وحرصا على صاحب تلك الرائحة أيضا، وذلك لكي لا يتأذى من نظرات الاشمئزاز إليه، فيحمل في نفسه الضغينة والحقد.

والثوم والبصل من النباتات النافعة، ولذلك لم يحرم أكلهما مطلقا، وإنما منع النبـــي ـــ عليـــه الصلاة والسلام ـــ أكل الثوم والبصل ثم مخالطة الناس عقب ذلك في مساجدهم وأنديتهم، لأن الواجب على الإنسان عندما يريد ملاقاة الآخرين، أن يتطيب ويتزين لكي يكون بأحسن صورة، لا أن يشـــينه لباس قذر أو رائحة كريهة، ومع هذا فالناس مراتب، فالنبـــي مثلا وهو أعلاهم وقدوتهم ﷺ، كـــان يبتعد عن كل النواقص في حياته كلها، وحين جيء له بطعام فيه خضراوات، أبى أن يأكله حرصا على مشاعر الملك الذي يناجيه، وهو بالمقابل رفض أن يهدر ذلك الطعام، لما له من منفعة، فوجهه إلى بعض أصحابه من الفقراء لكي يسدوا به جوعهم، مرخصا لهم بأكله والاستفادة منه. وهنا تظهـــر عظمـــة التشريع الإسلامي الذي يراعي مشاعر الناس ومصالح العباد في آن واحد، فلا يرى إيـــذاء النـــاس في مجالسهم بالروائح الكريهة من جهة، ولا يجيز هدر منافع الأطعمة التي لها تلك الروائح من جهة أخرى، وإنما أحل أكلها والانتفاع بها في البيوت شريطة الابتعاد عن المساجد ريثما تذهب آثار تلك الروائح.

وهذا الحديث يبين عظمة الإسلام الذي لم يترك نبيه الكريم ﷺ صغيرة ولا كبيرة فيها مصلحة العباد إلا وأرشدهم لها، مما جعل هذه الأمة التي رباها محمد ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ سيدة الأمم في الدنيا والآخرة، ثابتة برغم المحن، متحدية لكل الصعوبات، تسعى للمستقبل مهما تقلبت بها الأحوال، متمسكة بجذوة الحق الذي لن ينطفئ نوره أبدا.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1215/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التحذير من التقليد الأعمى

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: (لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم). قيل: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟). متفق عليه[1].

التقليد أنواع، إما تقليد في طريق الخير والأمور الحامدة وهذا تقليد محمود، أو تقليد مطلق بالخير والشر معا وهذا تقليد مرفوض، أو تقليد بالشر فقط وهذا أكثر رفضا من الثاني، فلا شيء أسوأ من التقليد الأعمى للآخرين في خطيئاتهم وعبثهم، وذلك لأن التقليد يدل على ضعف شخصية المقلد إزاء من يقلده، فهي عملية نسيان للذات وذوبان في الآخرين، مما يطمس معالم الشخصية المتميزة للإنسان السوي العاقل الذي أراده الله حرا في سلوكه وتصرفاته، مستنيرا بنور العقل والهدى في كل خطواته.

إن التقليد الأعمى للآخرين في غيهم وضلالهم يدل على سفاهة بالعقل، وضعف بالشخصية، والأكثر سوءا في هذا الموضوع أن يكون المقلد على الهدى، فيترك الهدى ويتبع الضلال، فحاله تماما كحال من رمى بمصباح كان يستنير به في الظلمات، وأمسك بيد أعمى ليرشده بعد ذلك، وهو تصرف أرعن، ولذلك حذر النبي ﷺ أمته أفرادا وجماعات من الانسياق الأعمى وراء الأمم الأخرى، واتباعهم في سخافاتهم: (حتى لو دخلوا جحر لدخلتموه) وهذا مثل للاتباع الأعمى الذي لا يجر على صاحبه إلا الغبار والأوساخ، والوبال والخزي.

وهذا الحديث من شواهد النبوة المحمدية، فمن رأى حال أمتنا اليوم وهي تقلد غيرها من الأمم ــ وبخاصة اليهود والنصارى ــ في الأمور السخيفة غير المجدية من موضة وأزياء وفن ورقص وخلاعة ومجون... بينما هي لا تقلدهم في بناء التكنولوجيا الحديثة، والصناعات الثقيلة، والوحدة السياسية، والشورى، والحرية، ونحو ذلك، من رأى هذا كله علم أن محمدا ﷺ لا ينطق عن الهوى، وأن من أهم عوامل تأخر هذه الأمة هو فقدان الشعور بالهوية، والمتمثل في ذوبانها في الآخرين، واتباعها الأعمى لهم.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1473/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ازدواج الشخصية

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (تجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه) متفق عليه[1].

الإنسان العاقل المتزن هو الذي يكون صاحب مبدأ يتمسك به ولا يحيد عنه، وهو الذي يتعامل مع الآخرين بما يفرضه عليه هذا المبدأ من القيم الاجتماعية الراقية المتمثلة بالصدق والأمانة قبل كل شيء، بيد أن هنالك شريحة من الناس لا هم لها في هذه الحياة إلا الدرهم والدينار، وفي سبيل المادة تضحي بكل المبادئ والأخلاق، وتعزف على كل وتر، وترتكب كل محظور، وهي تفعل هذا كله بدعوى ضغط الواقع، ومتطلبات العيش، ومقتضيات المصلحة، فتجدها شريحة متذبذبة لها ألف وجه ولسان كل يوم.

وهذا السلوك الخاطئ قد يقتضي من الإنسان الغيبة والنميمة والمنافسة، وأن يتلون مع كل جماعة بوجه، ويقوم بالفتن والنميمة والدسائس بين الناس، والأسوأ من ذلك إذا تحول هذا السلوك المتذبذب إلى حالة نفسية دائمة، ودفع صاحبه في شتى المزالق، ولا سيما في قضايا الكفر والإيمان، فإذا جلس إلى المؤمنين لبس ثياب النساك، وإذا انقلب إلى أهل الزيغ بدا كأنه أفعى تلدغ المؤمنين، وهو في الحالتين ليس مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، وإنما هو متذبذب مع مصلحته المتأرجحة.

إنه ليس ثمة شيء من الصفات أسوأ في الإنسان من انحلال الشخصية أو ضعفها، وهذا لا يكون إلا بسبب الخواء الروحي، والضعف الخلقي، مما يفقد شخصية الإنسان أهم خصائصها الإنسانية، وهو الشعور بالاستقلال والتميز إلى الشعور بالضياع والتبعية، مما يؤدي إلى فقدان الهوية وازدواج الشخصية وضعف الثقة بالذات. إن التوحد مع الذات لا يكون إلا بالتمسك بالمبدأ الذي اختاره الإنسان لنفسه، وأما التلون والتذبذب والنفاق فهو ناتج أساسا من عدم الالتزام بمبدأ ثابت أو دين قويم، وقد راج الفساد في عصرنا لانسلاخ الأديان عن قيادة البشر، ولرواج القيم والفلسفات المادية التي تنطلق من أن هذه الحياة هي كل شيء، ولذلك فهي تروج للمصالح المادية والحرية المطلقة، حتى غدت المصالح فوق المبادئ، وعليها تدور عجلة الحياة، فانقلبت تصورات الناس وأفكارهم في هذا العالم حتى صرنا على أعتاب عالم جديد يختلف تماما عما تعارفت عليه الإنسانية منذ عهد آدم حتى القرن التاسع عشر، مما ينذر بهلاك الإنسانية، وضياع القيم والمبادئ والأخلاق التي كان بقاؤها سببا في تواصل الأجيال واستمرار الحياة.

والإنسان السوي لا يرضى لنفسه أن يكون متلونا مع الآخرين تلون الحرباء، فلا بد له من عهد يلتزم به، وشعور بالصدق يلازمه، فلا يظهر الإخلاص للآخرين وهو يمقتهم ويكيد لهم، ولا يجعل نفسه في موضع الثقة وهو غادر خائن، لأنه إذا لم ينكشف لهم في الدنيا، فلا بد أن يفتضح في الآخرة، فرحم الله امرأ عرف قدر نفسه، وجنبها مزالق الشبهات حين تزل الأقدام.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1357/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحث على بناء الأسرة

عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء). متفق عليه.[1]

الأسرة هي قاعدة بناء المجتمع، فالأفراد لا يولدون ويعيشون إلا في جو الأسرة، والمجتمع هو عدد كبير من الأسر، وعليه فالأسرة هي مجتمع صغير، وهي نواة للمجتمع الكبير.

وقد جعل الله غريزة الجنس بين الرجل والمرأة من أجل اللقاء وبناء الأسرة، ليتواصل من خلال ذلك امتداد التاريخ ونقل تراث الأجداد إلى الأحفاد، ويبقى النسل البشري قائما على الأرض.

وهذا الحديث يحث فيه النبي الكريم ﷺ الشباب المستطيع على الزواج، لأن الزواج هو الحل السليم للغريزة الجنسية، وأما الرهبانية فهي قتل للحياة ومنع لتواصلها، ولو ترهب الناس جميعا لانقرضت الحياة، وكذلك الإباحية فهي نقيض للرهبانية، وهي قتل للأسرة، وطريقة لانتشار الأوبئة والأمراض والشذوذ والجرائم، فلا بد من تعزيز بناء الأسرة إذا ما أريد للمجتمع البقاء.

وأما في حالة عدم القدرة على الزواج بسبب الفقر أو طلب العلم أو نحو ذلك، فينبغي على الشاب أن يلجأ إلى الصوم فهو أمان له، لأن الصوم يجعل المعدة غير ممتلئة، فينصرف الدم إلى الدماغ، مما يقوي التفكير لدى الإنسان، وتقل إفرازات البدن العضوية والشهوانية، فلا يقع في مستنقع الرذيلة.

لقد حرص الرسول ﷺ على بناء الأسرة، فإذا تعذر ذلك فلا ينبغي أن نهدم أسرة أخرى، لأن الشاب الذي لا يستعف إما أن يدمر مستقبل فتاة بكر بعلاقة غير شرعية، أو متزوجة وهذا أخزى وألعن عند الله وعند الناس، وأدعى لنشر الجرائم وشيوع الفضائح وتدمير الطفولة وهدم المجتمع.

ليت علماء الاجتماع اليوم يأخذون بنصيحة رسول الله! ويوصون الشباب بها! وأما هذا الانفلات الإعلامي والخلقي، والتحلل الاجتماعي تحت مسمى الحرية الشخصية والتطور والمدنية، فهو مدعاة لأن يدمر كل إنجاز حضاري عرفته البشرية في وقت قريب.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (927/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رفض الانحلال الخلقي

عن ابن عباس، قال: قال النبـــي ﷺ: (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال). رواه البخاري[1].

خلق الله الذكر والأنثى لعمارة الأرض، فلا تصلح الحياة إلا بوجودهما ولقائهمـــا وبقائهمـــا، ولذلك شرع الزواج والتناسل من أجل استمرار الحياة، ووضع الحقوق والواجبات لكل جنس لكي لا يطغى رجل على امرأة ولا امرأة على رجل، وتسير الحياة بيسر وسلامة كما أراد الله لها أن تسير.

ولكن فطرة بعض الناس قد تنحرف عن مجراها الصحيح، فيأبى الرجـــل أن يكـــون رجـــلا مستقيما، وتأبى الأنثى أن تكون أنثى مستقيمة، مما يشيع الرذيلة والفساد في الأرض، وينقطع النســـل وتضيع القيم الأخلاقية. فماذا لو أراد الرجل التشبه بالأنثى في شكلها أو ملبسها أو حركاتها، أي رجل عاقل يرضى هذا لنفسه بين أهله وجيرانه وزملائه وأقرانه؟ وماذا لو أرادت الأنثى التشبه بالرجـــل في شكلها أو ملبسها أو حركاتها، أي أنثى عاقلة ترضى هذا لنفسها بين أهلها وجيرانها وزميلاتها وأقرانها؟. وأي مجتمع ذاك الذي لا تميز فيه المرأة من الرجل والرجل من المرأة؟ إنه مجتمع من المخنثين الفجرة الذين يغوون غيرهم، ويقتلون ما تبقى من خلق وكرامة وتميز لشخصية هذا الإنسان.

والرسول المربي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ لم يكن ليلعن هذا الصنف من البشر، لولا أنه يدرك خطورة هذه المسالك الشاذة على المجتمعات الإنسانية، وإذا كان تشبه كل فريق بالآخر موجـــودا في عصره ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ ولكن بشكل نادر، فما أكثره اليوم في عصر العولمة والانفلات من كل الضوابط والقيود الأخلاقية، حتى صار التشبه أمرا مألوفا، وواقعا ملموسا في كـــثير مـــن بقـــاع الأرض، وقد أسهمت العلوم الطبية في البلاد الديمقراطية، والتطور في الجراحة والتجميل علـــى وجـــه الخصوص في تحقيق رغبات المنحرفين من الجنسين، لكي يكون التحول حقيقيا وليس صوريا، مما يجعلنا نتساءل حول وظيفة العلم أساسا، هل هي خدمة أهواء الناس ورغباتهم، أم إصلاحهم وعلاجهم والرقي بهم؟

والتشبه الملعون هنا ما كان مكتسبا من فعل العبد، لا ما جاء من أصل الخلقة مما لا دخل للمرء فيه، وربما كان الإنسان ذكرا أو بالعكس، بيد أن تشويها خلقيا حصل له، فظنه الناس بعكس ما هـــو على حقيقته، فيتم إصلاح ذلك بالعمليات الجراحية، وهذا مما لا حرج فيه، ومما يحمد لعلم الطـــب أن يساعد الناس على التغلب على مشكلاتهم الخلقية، وعيوبهم الجسمية، بيد أن المعيب إذا تجاوز العلم هذه الوظيفة ليبدل خلق الله، مما ينبني عليه مشكلات متعددة في الميراث والأنكحة والحقوق المدنية.

نبتهل إلى الله عز وجل أن يحفظ هذه الأمة من شر الرذائل والفتن، وأن يبقي لها من القيم مـــا يجعلها شامة بين الأمم، إنه ولي التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1262/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تميز المرأة المسلمة

عن عائشة، أن هندا بنت عتبة قالت: يا نبي الله! بايعني. فقال: (لا أبايعك حتى تغيري كفيك، فكأنهما كفا سبع) رواه أبو داود[1].

النساء شقائق الرجال في الأحكام والمسئولية، وهذه حقيقة لا مراء فيها، ولكن لكل واحد منهما خصائص تميزه عن الآخر، وعالمه الخاص الذي يعطيه صفاته وخصائصه، فالرجال قوامون على النساء في شئون معيشتهم وتدبير أمورهم، مما يقتضي منهم المجاهدة والصبر، وقد يعمل بعضهم تحت أشعة الشمس، فتبدو عليهم علائم الجد والخشونة والعناء، فيما المرأة جالسة في ظل بيتها، تدبر شؤون أطفالها، وتستعد للقاء زوجها، فتكون حياتها أكثر نعومة وراحة، وهذا يقتضي منها أن تحافظ على نفسها، وتأخذ زينتها للقاء زوجها، وتبتعد عن كل ما فيه تشبه بالرجال.

بيد أن الأمر مختلف إلى حد ما مع هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، فهي امرأة فيها من القوة والصلابة الشيء الكثير، وحسبك أنها زوجة زعيم قريش أبي سفيان، فلا بد أن تتأثر بشخصية زوجها على أية حال، وكانت قد أسلمت يوم الفتح بعد إسلام زوجها، قال القاري: (وكانت لها فصاحة وعقل، فلما بايعت النبي ﷺ مع النساء، قال لهن: لا تشركن بالله شيئا، قالت: ما رضيت بالشرك في الجاهلية، فكيف في الإسلام؟ فقال: ولا تسرقن، قالت: إن أبا سفيان شحيح. قال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف، فقال: ولا تزنين، قالت: وهل تزني الحرة؟ فقال: ولا تقتلن أولادكن، قالت: فهل تركت لنا ولدا إلا قتلته يوم بدر، ربيناهم صغارا، وقتلتهم كبارا، فتبسم رسول الله ﷺ)[2].

ويبدو أنها بايعت النبي الكريم أكثر من مرة، وعن بيعتها للنبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ والمذكورة في هذا الحديث يقول علي القاري:(الظاهر أن هذه المبايعة غير مبايعة يوم الفتح حين أسلمت على ما سبق، فقال: لا أبايعك: أي باللسان، حتى تغيري كفيك، أي بالحناء، فكأنهما كفا سبع، شبه يديها حين لم تخضبهما بكفي سبع في الكراهية، لأنها حينئذ شبيهة بالرجال)[3].

هكذا أراد النبي المعلم ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ، أن يلقن هندا درسا نافعا، وهي على أبواب البيعة للنبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ، فأبى أن يبايعها حتى تخضب كفيها، والخضاب هنا لم يرد به الزينة، وإنما أراد به العودة إلى الخصائص الأنثوية للمرأة، فتأتي لتبايع وهي امرأة بكامل مقوماتها النفسية والعاطفية، بعيدة عن كل ما يعطيها بعض صفات الرجال، لتقوم بعد هذه البيعة بما تفرضه عليها البيعة من أوامر وعهود، كامرأة مؤمنة متميزة في سلوكها وشخصيتها رضي الله عنها.

وهذا الحديث يقودنا إلى عدم التساهل في صغائر الأمور، فالسلوك والزينة والمظهر الخارجي كلها أشياء ينبغي لها أن تعدل قبل الانغماس في واقع الدعوة إلى الله، ومعظم النار من مستصغر الشرر كما يقال.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1267/2).

[2] – مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (311/8).

[3] – مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (311/8-312).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دور المرأة في فجر الدعوة

عن أم عطية، قالت: (غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى) رواه مسلم[1].

المرأة شريكة الرجل في هذه الحياة، وهي تتحمل عبئا لا يقل في أهميته عن عبء الرجل الذي يؤمن لقمة العيش لأبنائه في سعيه خارج البيت، بينما هي تقوم برعاية الأبناء وتربيتهم أثناء غياب الرجل، فمسئوليتها لا تقل عن الرجل بحال من الأحوال، بل ربما كانت هي أعظم مسئولية، لأن تربية العقل والمشاعر هي من اختصاصها، ولذلك قال الشاعر حافظ إبراهيم:[2]

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

بيد أن مسئولية المرأة الجسيمة هذه لا تعفيها مطلقا من مسئوليتها خارج بيتها، ولاسيما وقت الضرورة، وكذلك حال الرجل، فمسئوليته خارج بيته لا تعفيه من مسئوليته داخل بيته، فلا بد من تحمل الرجل والمرأة معا للمسئولية خارج البيت وداخله معا، مع مراعاة أن تكون الأولوية في المسئولية داخل البيت للمرأة وخارج البيت للرجل، وذلك بحكم الفطرة والتكوين النفسي والجسدي لكل منهما.

وقد ساهمت المرأة منذ فجر الإسلام في حمل رسالة الله، وإعداد النشء الصالح القادر على حمل هذه الدعوة، وامتدت مشاركتها إلى خارج بيتها، لتكون في أوقات الطوارئ من حروب وغزوات إلى جانب النبي الكريم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ، تؤدي للجيش المسلم الخدمات الميدانية من علاج للجرحى وإعداد للطعام وسقي للماء ونحو ذلك.

والمجتمع الصالح ليس هو ذلك المجتمع الذي يحبس المرأة في منزلها فلا تغادره إلا يوم زفافها أو وفاتها، ولا هو ذلك المجتمع الذي يفتح باب الحرية أمام المرأة مطلقا، لتعيش بمعزل عن سلطة الرجل، وتنطلق في كل الميادين بكامل زينتها بلا حياء ولا خجل، وإنما هو ذلك المجتمع الذي يعطي للمرأة حقها، ويؤهلها لأن تؤدي دورها الإنساني الذي كلفها الله به، ويتيح لها المشاركة في بناء المجتمع، من غير ضجيج ولا بريق، وهو ما كان عليه الحال في العهد النبوي الكريم، حيث النساء شقائق الرجال، والجميع يعملون في حقل الدعوة الإسلامية جنودا أوفياء لها، وكل يؤدي دوره المنوط به، من غير انحلال ولا ابتذال، وهو أمر يحق لأمة الإسلام أن تتباهى به على غيرها من الأمم، ويعود الفضل فيه إلى شريعة الله التي هذبت النفوس والضمائر قبل أن تضع القيود والضوابط عند لقاء الجنسين.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1153/2).

[2] – جواهر الأدب، للهاشمي، ص (495).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حسن المعاملة الزوجية

عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، قالت: فسابقته فسبقته على رجليَّ، فلما حملت اللحم ــ أي سمنت ــ سابقته فسبقني. فقال: (هذه بتلك السبقة). رواه أبو داود وأحمد وسنده صحيح[1].

ما أعظم الخلق المحمدي، فهو ﷺ مع الناس رحمة مهداة، وفي الحرب قائد شجاع، وفي المحراب أول العابدين، وهو في بيته الزوج الوفي، وهو بحق سيد الأولين والآخرين.

تزوج عائشة وهي صغيرة، فكان يداعبها مراعاة لسنها، ومن المداعبة لها هذا السباق بينه وبينها، وقد تم السباق في سفر، والمسافر بحاجة إلى الراحة من عناء السير، والسباق قد يتعبه، ولكنه بحاجة أيضا إلى ما يخفف عنه عناء السفر، ويبعث في نفسه المرح والنشاط، وهنا تكون فائدة السباق، فهي وإن أجهدت البدن قليلا لكنها تبعث الهمة والنشاط في الروح، وينعكس هذا بدوره على البدن بالفائدة التامة.

وقد سبقت عائشة النبي ﷺ في المرة الأولى وهي في بداية حياتها الزوجية، وحين تكرر السباق مرة أخرى، وكانت عائشة قد سمنت، سبقها النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ، فذكر لها أن هذا الفوز يقابل تلك الخسارة، وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان يتذكر كل ما يجري بينه وبين أزواجه، وهو أمر محمود في الزوج الناجح، وأنه كان حريصا على الفوز مثل عائشة، وأنه كان محافظا على قوامه ولياقته البدنية، فلا سمنة ولا انتفاخ مع مرور الأيام، ولا نحافة أو هزال، وإنما قوام كالسيف، وقد كان أحسن الناس خَلقا وخُلقا ﷺ.

لقد تسابق الرسول ﷺ مع عائشة، وفي هذا إرشاد للأزواج لما ينبغي أن تكون عليه الحياة الزوجية من المرح والدعابة، فلا تكون لونا واحدا من الجد أو الهزل، فلكل من الجد والهزل موقعه، وفيه بيان لأهمية الرياضة للرجل والمرأة على حد سواء، فهذه الأبدان ثياب للأرواح، وهي بحاجة إلى التجدد والطاقة والنشاط المستمر، وفيه أيضا أن جلالة الرجل وقدره لا يحط منها الجري أو ممارسة الرياضة ونحو ذلك، فلا ينبغي أن يكون الداعية معرضا عن ممارسة الأنشطة التي تقوي بدنه وتعزز صلته بالآخرين بدعوى أنها لا تتناسب ومقامه الدعوي، فالإنسان المسلم يجب أن يكون مبادرا لكل ما ينفعه في دينه ودنياه، ورسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ أكمل الناس قدرا هو القدوة في ذلك كله.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (971/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دين الرفـــــــــــق

عن جرير، عن النبـــي ﷺ قال: (من يحرم الرفق يحرم الخير)[1]

من خصائص الإسلام أنه دين الرفق في كل شيء، رفق في الحرب ورفق في السلام، رفق مـــع أفراد المجتمعات الإنسانية من كل الأعمار والألوان والأجناس والأديان، رفق في التعامل مـــع الطبيعـــة والحيوان والشجر والمدر، رفق في كل شيء حتى كأن الرفق هو الخير الذي يحرص عليه الدين في كـــل مجالات الحياة.

والرفق يعني التأني والحلم في الأمور، وأخذ الناس باليسر، ولا يعني بطبيعـــة الحـــال المداهنـــة والنفاق، لأن العقيدة لا مجال للمجاملة فيها أبدا.

وقد كان الرسول عليه السلام مثالا للرفق في حياته كلها، فهو رفيق بأهله وأبنائه وخدمـــه، لا يعنفهم ولا يضرب أحدا منهم، وهو رفيق بجيرانه وضيوفه، وهو رفيق بالمستضـــعفين في الأرض مـــن الفقراء واليتامى والمساكين والمرضى، فهو يزورهم ويتفقدهم، ويدعو لهم، ويواسيهم، وهو رفيق بعامة المسلمين حتى في وقت الحرب والشدة، فلا فظاظة ولا عنف، وإنما رحمة وتوجيه وتسديد، وهو رفيق بأعدائه إن ظفر بهم، فلا ثأر ولا عنف ولا فتك عند النصر، وإنما شعاره: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[2].

وكان الصحابة رضي الله عنهم من بعده مثالا للرفق بالناس، وممن اشتهر بذلك بعد الراشدين الأربعة رضي الله عنهم: معاوية، فقد كان الرجل يقول لمعاوية: (والله لتستقيمن بنا يـــا معاويـــة، أو لنقومنك. فيقول: بماذا؟ فيقول: بالخشب. فسقول: إذن نستقيم)[3].. وقد نشأ عن هذا الشعور بـــالرفق حضارة الإسلام التي تميزت بالتسامح عبر العصور، بعكس الحضارة المادية الغربية اليوم، فهي تقوم على فكرة الديمقراطية التي توجب بعض القيم الإنسانية من التسامح والحوار، بيد أن عدوان الغـــرب علـــى الشعوب المستضعفة، واستعماره للبلاد المنكوبة، ونهبه لثروات الشعوب، أثبت أن ديموقراطيته التي يروج لها، ويتحلل منها متى شاء، هي أوهن من بيت العنكبوت! وأنه لا يؤمن إلا بالعنف والقهر والقوة، وأنه يستخدم قوته للبطش بكل معارضي سياساته، فلا رفق ولا حوار، وإنما مطرقة وسندان لكـــل مـــن لا يركع لسياساته الظالمة.

ما أحوج العالم كله اليوم إلى هدي النبـــي محمد عليه السلام، ليسود فيه الخلق بدلا من عبودية المال، والتعاون بدلا من التباغض، والرفق بدلا من وحشية الغاب، فنحن بعصر لم يعد فيه للإنسان قيمة إلا ما يمتلكه أو يدخره، ومن ثم سادت الوحشية في التعامل، ولكنها وحشية تلبس النظـــارة، وتحمـــل الحقيبة الدبلوماسية، وتتكلم بالكلمات الناعمة، وتتبسم لك حيثما كنت، وتعاملك بمنتـــهى الأدب... ورغم كل هذه الصفات فهي لا تخجل من الافتراس ولو لم تكن جائعة إذا عنَّ لها أن تفترس!.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1407/3).

[2] – انظر: السيرة النبوية، لابن هشام، (94/4).

[3]– تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص (182).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قانون العـــــدالة

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما). فقال رجل: يا رسول الله! انصره ظالما، فكيف أنصره مظلوما؟ قال: (تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه). متفق عليه.[1]

جاء الرسول ﷺ في مجتمع قبلي لا يقيم وزنا لقيم العدل والقانون، ويسود فيه الثأر والحـــروب القبلية التي ينبغي على الإنسان أن ينخرط فيها نصرة لقبيلته مظلومة كانت أو ظالمة، فحالهم كما قـــال الشاعر:[2]

لا يسألون أخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا

وقد غير الرسول ﷺ من قيم ذلك المجتمع، لتسود العدالة مكان الظلم، والقانون مكان الفوضى، والحق مكان الباطل، وهذا الحديث يصب في هذا الصدد، إذ يبين ضرورة النصرة لـــلأخ المســـلم أو الأخ في النسب أو في الإنسانية، بيد أن النصرة هنا لها حالتان:

الأولى: أن يكون الأخ مظلوما وهنا يتعين الوقوف معه ضد ظالمه بشتى الوسائل.

والثانية: أن يكون الأخ ظالما وهنا يتعين رده إلى الحق، والوقوف مع ظالمه ضده، وهذا الأمر وإن كان يبدو في نظر البعض خذلانا، لأنهم يريدون النصرة بالخير والشر، ولكنه في الحقيقة هو عـــين النصـــر والصواب، لأنك إذا ساعدت الظالم على ظلمه فقد جردته من إنسانيته، وقد يأتي يوم يورد نفســـه في المهالك ويوردك معه، فضلا عن أن المظلوم قد ينتقم من الظالم ومن عاونه إذا سنحت له فرصة، ناهيك بالعقاب الذي سينزل بالظالم عند مليك مقتدر، وأما إذا أخذت على يد الظالم، فقد منعته من أن يتجرد من إنسانيته، وأبقيت له عقله فلا يقع في شرك الغرور والقوة الطاغية التي تخدر عقول الظلمة، وحفظت الحق لأصحابه فأبقيت المجتمع الإنساني في ساحة الصواب والعدل، وحفظته من مقت ربه يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

فجدير بالإنسان أن لا تجعله مشاعر القربى والنسب أو الدين أو المصالح الاقتصادية يتعدى على الآخرين فلا حياة مع العدوان، ولا ظلم مع الحياة، إلا أن تكون حياة البهائم والكواسر، والتي جاء الإسلام ليرفعنا عن مستواها الهابط، لتكون دنيانا أقرب إلى عالم الملكوت منها إلى عالم الشياطين.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1385/3).

[2] – البيت في الحماسة لرجل من بَلْعنبر بن عمرو بن تميم، انظر: شرح حماسة أبي تمام، للشنتمري، (358/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مستقبل الظلمة

عن ابن عمر أن النبـــي ﷺ قال: (الظلم ظلمات يوم القيامة) متفق عليه[1].

لم تبتل البشرية بشيء في تاريخها مثل الظلم، ظلم في الحقوق، وظلم في الواجبات، وظلـــم في الأنفس والأموال، وظلم في كل اتجاه، حتى الكفر هو نوع من الظلم حيث يظلم الإنسان نفسه، حين يوردها المهالك برد الحقائق الثابتة التي قامت عليها الأرض والسماء، قال تعالى على لسان لقمان: (يـــا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)[2].

والظلم محبب لبعض النفوس، فهي تستلذ بإيذاء الغير، وتفرح برؤية دموع المنكوبين تتســـاقط، وجراح المعذبين تترف، وآهات الحزانى والأيتام تصعد إلى السماء، لأنها تستشعر بإيذاء الغير ســـلطان العظمة الكذوب، فيخيل إليها أنها تملك كل شيء، وأن بيدها مصير البلاد والعباد، وأنها تســـتطيع أن تقهر من تشاء... وربما امتدت عيون الظلمة لمزاحمة سلطان الله في الأرض، فأعلنوا ربوبيتهم على أبناء جنسهم كما فعل طاغية العصور فرعون، حيث ادعى الأ لوهية أولا، ثم الربوبية بعد ذلك، و لم يكن هم ذاك المجرم إلا بقاء سلطانه، وسحق كل ما يهدده، ولو كانوا الأطفال الصغار الذين يذبحهم خشية من المستقبل المجهول الذي يمكن أن يصير إليه بسبب واحد من هؤلاء الأطفال، إنه الظلم الـــذي يعمـــي صاحبه عن رؤية أبسط الحقائق، وفي هذا الصدد يقول أبو الطيب المتنبي:[3]

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفـــــــــــة فلعلة لا يظلم

وقد يجيد الظا لم فن القول والخدا ع، فيلبس ظلمه مسوح العدالة، ويبرره بأنه لمصلحة الأمة، وأن الحياة لا تصلح بغير الشدة، وأن النظام لا يستقر إلا إذا كان له هيبة، وفي سبيل هذه الهيبة لا بد مـــن وقوع بعض الأخطاء والتجاوزات، فمادام القصد نبيلا فلا ضير من ذلك، ويتناسى الظا لم أن الظلـــم علقم لا يطاق، وأنه لو كان موضع هذا المظلوم لكان أول المستنكرين لهذه الفلسفة الشـــيطانية، الـــتي تلبس الطغيان مسوح الرهبان، وتبرر للذئاب البشرية افتراس إخوانها في الإنســـانية في ســـبيل غـــرض رخيص، أو مصلحة عاجلة، أو دنيا زائلة.. ولذلك توعد النبـــي ﷺ في هذا الحديث الظالمين، وحذرهم من عواقب هذا الظلم في الدنيا والآخرة، حيث إن هذا الظلم سيكون يوم القيامة كالظلمـــات علـــى صاحبه، يتخبط فيها حتى يقع به في نار جهنم.

ما أحوج الناس إلى العدل! وما أغناهم عن الظلم! ولماذا يتظالمون فيما بينهم إذا كان هناك يوم عدل يقتص فيه للحيوانات فيما بينها قبل أن يوضع الميزان للإنسان.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1417/3).

[2] – سورة لقمان، الآية (13).

[3]– مختارات البارودي، (41/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأخذ بالأسباب

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء). رواه البخاري.[1]

الإسلام دين واقعي، يؤمن بضرورة السعي والعمل والبحث العلمي، ويرفض التواكل وترك الأسباب بحجة الاعتماد على الله، لأن الله هو خالق الأسباب والمسببات، وهو الآمر بها سبحانه وتعالى: (وآتيناه من كل شيء سببا)[2].

وهذا الحديث يدل على ضرورة التكامل بين عالم الغيب والشهادة أو وحدة الغيب والشهادة، فالله هو المبتلي لعباده وهو الشافي لهم، فالمتحكم في عالم الشهادة كما في عالم الغيب أيضا هو الله رب السماوات والأرض، والذي غابت عنا مشاهدته و لم تغب حكمته، فلا مرض يوجد من تلقاء نفسه، ولا شفاء أيضا، وإنما يحصل ذلك كله بتقدير العزيز العليم.

وأما الكشوف العلمية فما هي إلا بإذن الله، قال تعالى: (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)[3]. وعلى الإنسان أن يبذل جهده لمعرفة الدواء المنزل من السماء، فإذا بذل الجهد وعرف الدواء يكون قد حقق مراد الشريعة بالبحث والسعي عن العلاج، وأصاب قدر الله الذي أنزل الداء والدواء معا.

وهذا الحديث يفتح باب الأمل لما يسمى بالأمراض المستعصية، فما على العلماء والباحثين إلا بذل مزيد من الجهد لاكتشاف العلاج الشافي بإذن الله، ويدل على أن الشريعة الإسلامية تؤمن بالعلاج والطب، ولا تدع السعي والبحث عن أسباب الشفاء تحت أي ذريعة، لأن من مقاصد الشريعة حفظ أمن هذا الإنسان وحفظ بدنه وروحه من الأدواء جميعا، ورعايته من المهد إلى اللحد.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1278/2).

[2] – سورة الكهف، الآية (84).

[3] – سورة البقرة، الآية (255).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دين النظـــــــــافة

عن البراء، قال: قال رسول الله ﷺ: (حقا على المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة، ولـــيمس أحدهم من طيب أهله، فإن لم يجد فالماء له طيب). رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن[1].

النظافة شعار الإسلام، وشطر الإيمان، وقد حث عليها الدين الحنيف في كـــل الأوقـــات، وفي مختلف المجالات، وهي تشمل نظافة الظاهر من جسد وثوب ومكان وأدوات وبيئة وغيرها، والباطن من قلب وفكر وعقل وروح ومشاعر ونحو ذلك، فإذا اجتمعت نظافة الظاهر والباطن كان المسلم ربانيـــا طاهرا وكأنه شامة في أعين الناس.

وهذا الحديث يرشدنا إلى ضرورة نظافة البدن يوم الجمعة، حيث يلتقي المؤمن بإخوانه في بيوت الله عز وجل، فلا ينبغي أن يزعجهم برائحة كريهة من عرق أو غيره، وإنما ينبغي أن يكون على أحسن صورة، ولا بأس من أن يصيب شيئا من الطيب ليكون ذا رائحة طيبة محببة إلى النفوس، حـــتى يبـــدو المسجد بما فيه من المصلين وكأنه حديقة من مسك أو زعفران.

وإذا عرفنا ندرة المياه في الجزيرة العربية، وصعوبة الحصول عليها، ثم عرفنا أن الصلاة ـــ وهي عماد الدين ـــ لا تتم إلا بالطهارة والوضوء، مما يستدعي كميات من المياه الصالحة التي كانت شحيحة في ذلك العصر، حيث لم يكن في المدينة إلا بئر رومة الذي اشتراه عثمان رضي الله عنه مـــن يهـــودي وجعله صدقة على المسلمين[2]، إذا عرفنا هذا كله عرفنا القيمة الكبيرة للنظافة في الإسلام، وحرصه على تحويل المجتمع العربي إلى مجتمع متحضر نظيف، تفوح مساجده عطرا وطيبا، ويكن أبناؤه صورة عـــن نبيهم الطاهر المطهر العظيم ﷺ.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (440/1).

[2] – انظر: مشكاة المصابيح، (1714/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دين العلم والبحث العلمي

عن أبي أمامة الباهلي، قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان، أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم). ثم قال رسول الله ﷺ: (إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير). رواه الترمذي[1].

لا شيء أهم في ديننا الحنيف من العلم، فله الصدارة في الأمور كلها، إذ به يتعرف الإنسان على وجود الخالق عز وجل، وصدق الأنبياء عليهم السلام، وحتمية وجود اليوم الآخر، وبواسطته يميز بين الخير من الشر، والنافع من الضار، وذلك في كافة شئونه الدينية والدنيوية... وقد وقف الإسلام منذ يومه الأول داعيا إلى العلم، فكانت أول آية نزلت من السماء: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)[2]، وأعقبتها آية أخرى تحدثت عن معجزة خلة الإنسان وهي: (خلق الإنسان من علق)[3]. والحديث عن كيفية خلق الإنسان من شأن علم الطب، وقد لفت القرآن الأنظار إليه ليبرهن على أن العلوم النافعة تقود في النهاية إلى معرفة الخالق المبدع العظيم. ثم أعاد تعالى التأكيد على أهمية القراءة، وأن تكون قراءة واعية مستنيرة باسمه، ومنوها في الوقت ذاته بأداة العلم المفضلة وهي القلم، فقال عز وجل: (اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)[4].

والعبادة التي تقوم على العلم لا تستوي مع العبادة القائمة على الوراثة أو التقليد أو مجرد الفطرة السليمة، حيث يمارس الإنسان طقوسا وعبادات لا يدرك مغزاها، ولا يعرف أسرارها، وربما مارسها بطريقة خاطئة، ولذلك لا يستوي العالم والعابد أبدا كما لا يستوي أدنى الصحابة رضي الله عنهم، والنبي محمد عليه السلام، وكيف لا يكون الفرق بين العالم والعابد شاسعا إلى هذا الحد، والعالم موضع لصلاة أهل الأرض والسماء؟ بما فيهم النملة الصغيرة، والحوت الكبير، فهما يصليان على من يعلم الناس الخير، لأن الخير في النهاية سيعم الجميع بما في ذلك الحشرات التي تعيش على اليابسة أو الكائنات البحرية، وذلك عندما يتعلم الناس الحفاظ على البيئة، وعدم تلويثها بالسموم والمخلفات الصناعية، فتبقى الحياة سليمة في البر كما في البحر، وتبقى الحشرات والحيتان وغيرها في أمان كما الإنسان، والجميع يدعون لمعلم الناس الخير، إنه دين العلم الذي قامت عليه عقيدة الحق وشريعة السماء، واتصف به منزل الكتاب سبحانه، فهو العليم الخبير، بل وجعل خشيته سبحانه مقصورة على العلماء

---

[1] – مشكاة المصابيح، (74/1).

[2] – سورة العلق، الآية (1).

[3] – سورة العلق، الآية (2)

[4] – سورة العلق، الآيات(3-5).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من عباده، فقال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)[1]، وأمر نبيه بالاستزادة من طلب العلم، فقال سبحانه: (وقل رب زدني علما)[2].

[1] – سورة فاطر، الآية (28).

[2] – سورة طه، الآية (114).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التحذير من السقوط الداخلي للأمة

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الشيطان قد أيس من أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم). رواه مسلم[1].

لقد أنعم الله على العرب ببعثة نبي الهدى النبي الأمي محمد ﷺ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، وهداهم بإذن ربهم إلى صراط مستقيم، ثم حملهم مسئولية توصيل هذه الدعوة إلى الإنسانية قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها، وبذلك أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ومضى إلى ربه راضيا مرضيا، وقد اطمأن إلى أن القرآن قد ضرب جذوره في قلوبهم، فلا عودة إلى الشرك والجاهلية الأولى بحمد الله تعالى، وهو ما عبر عنه في قوله: (إن الشيطان قد أيس من أن يعبده المصلون في جزيرة العرب).

وعبادة الشيطان: طاعته، وقيل: هي عبادة الأصنام، ونسبت إلى الشيطان لأنه الآمر بها، والداعي لها، وعبر بالمصلين عن المؤمنين، وذلك لأن الصلاة عماد الدين، وخص جزيرة العرب لأنها مهد الإسلام، وموطن العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، بيد أن الشيطان الذي يأس من عبادة الناس له لم ييأس من إيقاع الفتن بين المؤمنين، مما يجعلهم يسفكون دماءهم، ويعودون للفرقة والتناحر، ومغزى الحديث أن الشيطان لا يطمع في ردة المؤمنين، وإنما يطمع في تشويه سلوكهم وممارساتهم الواقعية لهذا الدين، فلا سلطة له على قلوبهم وعقيدتهم، وإنما سلطانه ونفوذه على السلوك والممارسة، وهذا الحديث يعكس تحذيرا نبويا للمؤمنين من طاعة الشيطان الذي يريد تدمير المجتمع المسلم أو تشويهه بأي سبيل كان، وهذا يقتضي من المؤمنين جميعا الحذر والحيطة من كيد الشيطان الذي يطمع في أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء، ولا حيطة ولا حذر يمكن له أن يجدي ما لم يتم ربط العقيدة بالسلوك، والممارسة الحياتية، من أجل البقاء على الوحدة الإيمانية، وكبح جموح الشيطان.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (27/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تـــــدارك الفرص

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (اختتن إبراهيم النبـــي وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم). متفق عليه.[1]

الحياة فرصة، وعلى الإنسان اغتنامها قبل أن تفوت منه، واغتنامها يكون بعمل الصالحات حتى آخر نفس منها.

والصالحات منها ما هو ركن أو عبادة أو عادة، ومنها ما يتعلق بالجسد أو بـــالروح، وعلـــى الإنسان أن يبادر إليها ولا يتوانى عن فعلها أيا كان عمره، وأيا كانت تلك الصالحة جليلة كالصلاة أو دون ذلك كالختان.

والأنبياء أحرص الناس على اغتنام الفرص، قد كان إبراهيم أبو الأنبياء إماما لهم في اغتنامهـــا، فهو لسبب ما لم يختتن صغيرا، ولما كان الختان من الفطرة، كان لا بد من أن يفعله ولو كان كبيرا على أبواب الثمانين، ويبدو أنه اختتن بنفسه متخذا قدوما تساعده في تلك العملية الجراحية.

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة منها:

1- المبادرة إلى فعل الخير ولو تقدم العمر بالإنسان.

2- عدم التهاون بصغائر الأمور مثل الختان لأنه من الفطرة، وفيه فوائد صحية للبدن.

3- أن يعتمد الإنسان على نفسه عند الضرورة، وهذا يحتاج منه إلى شجاعة نفسية كبيرة.

4- لا بأس من رواية الأخبار التي تتعلق بالختان ونحوه حتى يتعلم الناس دينهم.

5- على الأسرة المسلمة أن تبادر إلى ختان أطفالها وهم صغار، ولعل السبب في تأخر ختان إبراهيم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ أن أباه لم يكن مسلما، و لم ينشأ في أسرة مسلمة.

6- أهمية استخدام الآلات التي تساعد الإنسان في العمليات الجراحية.

إن دين الله هو دين الفطرة، وهو يحث الناس على المبادرة والإقدام واغتنام الأوقات قبل فواتها، وعلى ألا يتهاونوا في صغائر الأمور فضلا عن عظائمها، وأن لا تدفعهم الشيخوخة والشعور بالضعف والوهن عند خريف العمر إلى الإحجام عن فعل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم بدعوى فـــوات الأوان، فالحياة فرصة ويجب اغتنامها حتى آخر رمق منها.

---

[1] - مشكاة المصابيح، (1589/3).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القيمة للأعمال لا للأجساد

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة). وقال: (اقرؤوا إن شئتم: {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا})[1]

الإنسان نسيج واحد مكون من جسد وروح، ومطلوب منه أن يعطي حق الجسد للجسد، وحق الروح للروح، فإذا اعتنى بالجسد وترك الروح يصبح هنالك خلل في حياته، ويصبح عبدا لهذا الجسد، ينميه ويرعاه على حساب روحه، وهو ما يندد به هذا الحديث الشريف، حيث ينبه إلى أن عملية بناء الجسد الضخم القوي من دون رعاية الروح عملية خاسرة في المستقبل، حيث سيهلك صاحب هذا الجسد، وينتهي أمره إلى بوار.

وحق الجسد يتمثل في التغذية السليمة وممارسة الرياضة وتجنب التلوث والابتعاد عن المخاطر التي قد تؤذيه، والنوم الطبيعي.. وحق الروح يتمثل بالذكر والتلاوة والتمسك بالآداب وتوحيد الله وعبادته، فهذا هو غذاء الروح النافع في الدنيا والآخرة.. ولكن المشكلة التي لم ينتبه إليها كثير من الناس هي أنهم يحبسون أنفسهم واهتماماتهم داخل نطاق الجسد وحده، فلا يهمهم إلا الطعام والشراب ومستتبعات ذلك من الشهوات، وهو ما عبر عنه أحد الشعراء في قوله:

إنما الدنيا طعام = وشراب ومنام
فإذا فاتك هذا = فعلى الدنيا سلام

فتجد الإنسان يهتم بمظهره دون جوهره، وببطنه دون روحه، يعجبك جسمه، ويسوؤك مخبره، فكأنه مجرد حيوان قوي أهوج لا أكثر، وهو ما عبر عنه حسان بن ثابت يهجو قوما:[2]

لا عيب في القوم من طول ولا عظم =جسم البغال وأحلام العصافير

ومثل هؤلاء الناس قد يكون لهم مراكز مرموقة في المجتمعات، ولهم الحشم والخدم، والأتباع والمصفقين، مما يجعل المرء يفتن بهم وبحديثهم ومكانتهم، فإذا رآهم يوم القيامة في صورة محتقرة، لا وزن لهم عند الله أدرك حقيقتهم الخاوية من كل خير، وتفاهة أمرهم وهوانهم على الله يوم القيامة.

والعاقل من الناس من التفت إلى جمال الروح، وبادر إلى العمل الصالح، و لم يلهه حظ نفسه عن عبادة ربه، و لم ينخدع بالمظاهر الجوفاء في الحياة، و لم ينسق مع ألواح الخشب التي تلبس صورة الإنسان، فقيمة الإنسان بإنسانيته وروحه وفضائله، وقديما قال الشاعر أبو الفتح البستي:[3]

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته=لتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها=فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1536/3).

[2] – ديوانه، ص (178).

[3] – انظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، لأحمد قبش، ص(67).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقوق المسلم

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (حق المسلم على المسلم ست). قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: (إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه). رواه مسلم[1].

حرص النبي الكريم ﷺ على تقوية أواصر المودة والقربى بين المسلمين، وذلك بتبيان حق المسلم على أخيه المسلم، وتبدأ الحقوق بالمسائل الصغيرة ابتداء من السلام الذي يوثق عرى التعارف ويقيم أواصر المحبة بين أبناء المجتمع الواحد، ومرورا بإجابة الدعوة إلى وليمة أو مناسبة ما، وتقديم النصح، ثم تشميته عند العطاس، وهي أن يقول له يرحمك الله أو يدعو له بخير، ثم عيادته عند المرض، ومرافقته في رحلة الوداع إلى القبر، بأن يشارك في حمل النعش وتشييع الجنازة.

إنها حقوق وآداب لا بد من مراعاتها، وهي على التفصيل تندرج بما يلي:

أولا: آداب اللقاءات العامة الاجتماعية، وتتمثل بآداب الكلام واللقاء مع الناس، كالسلام وتشميت العاطس.. وهي آداب تعني الكثير لدى التمسك بها، فالسلام غالبا ما تصاحبه ابتسامة تزرع المودة والثقة بين الناس، وتشميت العاطس هو دعاء له بالخير، في حين نجد غير المؤمنين قد يمتعضون عند العطاس مما يملأ قلب العاطس حقدا عليهم، وهو أحوج إلى الدعاء له من حاجته إلى الاستفزاز والحقد.

ثانيا: آداب المناسبات الاجتماعية: من إجابة الدعوة في أوقات الفرح أو المناسبات العامة، وتمتد هذه الآداب حتى مفارقة المسلم للحياة، حيث يودعه إخوانه في موكب جنائزي مهيب، يليق بالكرامة الإنسانية، بدلا من إلقائه مع النفايات، أو حرقه، أو تخويل البلديات بالتخلص من الجثة كما يعمل بعض الملاحدة في عالمنا اليوم.

ثالثا: آداب المشاركة العقلية عند النصيحة والاستشارة، فتقدم له خلاصة تجربتك ومعرفتك، وتتحرى الصدق، وتبتعد عن الغش والخداع والمكر والتوريط.

إن هذه الآداب والحقوق في هذا الحديث الشريف كفيلة عند مراعاتها من أن تجعل المؤمنين إخوة فيما بينهم يتعاونون على البر والتقوى، دون الإثم والعدوان.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (483/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سلوك المؤمن ثمرة إيمانه

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) رواه الترمذي والنسائي [1].

الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان ـــ أي القلب ـــ وعمل بالأركان، أو هو ناحية نظرية تتمثل بالإعلان باللسان والاعتقاد الجازم بالقلب، وناحية عملية تتمثل في النشاط الإنساني بمظهريه الإعلامي والسلوكي الاجتماعي، فلا فصام في الإسلام بين النظرية والممارسة، وبين العقيدة والواقع، كما هو شأن بعض الأديان والمذاهب الأخرى.

وهذا الحديث تجسيد لوحدة العقيدة والممارسة، وتأكيد على هذه الوحدة، فالمسلم الحق هو من كف أذاه عن الناس، والمؤمن الحق هو من كان موضع ثقة الناس، فائتمنوه على أعز ما لديهم وهو الدماء والأموال، هكذا يريد رسول الله ﷺ من المسلم أن يكون إنسانا إيجابيا في الحياة، بعيدا عن الأذى والعدوان، قريبا من الناس، محبا ودودا لهم، يألفهم ويألفونهم، وذلك ليشعرهم بعظمة الإسلام من خلال سلوكه وممارساته، فلا شتائم ولا سباب، ولا بطش ولا إرهاب، ولا ظلم ولا عدوان، وإنما يكون محور العلاقة فيما بينه وبين الآخرين قائمة على الثقة والتعاون والسلام الاجتماعي.

ولو أن المسلمين وعوا هذا الحديث الشريف، لما سفك بعضهم دم بعض، ولما كانوا بهذه الصورة المزرية في عصر التكتلات الاقتصادية والسياسية، حيث أخذت الفرقة والتشرذم والتباعد والعداوة حظوظها القصوى من صفوفهم ومجتمعاتهم، فإذا بهم في وضع يرضي عدوهم ويحزن صديقهم، ولا حل لهذه الأزمة التي هم فيها إلا بتحول الإيمان من شكله النظري إلى شكل واقعي يظهر بالممارسة والسلوك، ليتجلى في التعاون والتآزر، فالإيمان ليس دعاية ولا مجرد إعلان، ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (17/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دين الجمـــــــــاعة

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ[1] بسبع وعشـــرين درجة) متفق عليه[2].

الإسلام دين الجماعة والوحدة والتآلف، فهو ينطلق أساسا من أن هذه البشرية على اخـــتلاف ألسنتها وألوانها انحدرت من نفس واحدة وهي نفس آدم عليه الصلاة والسلام، وبهذا تكون البشـــرية بمثابة أسرة واحدة وإن تعددت الأعراق والأنساب.

ومن هذا المنطلق عزز الإسلام من قيمة الجماعة لما فيها من تآلف وتعاون واتحاد وقوة، ونهى عن التباعد والتشرذم والتفكك، وكانت عبادته كلها تحرص على تعزيز الوحدة البشرية والروح الجماعيـــة بـــين الناس.

فالصلاة وهي عماد الدين عندما تكون مع الجماعة تفضل صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة، لماذا؟ لأن في صلاة الجماعة من الفوائد ما ليس في صلاة المنفرد، حيث تقتضي صلاة الجماعة المحافظـــة على الوقت بعكس ما لو صلى المرء منفردا فإنه قد يؤخر الصلاة أو يضيعها، فهي من هذا المنطلق ذات فائدة زمانية، كما أن الصلاة في المسجد تقتضي من صاحبها أن يكون نظيفا حسن المظهـــر والهيئـــة واللباس، وهذه فائدة جمالية، وتقتضي أيضا من المسلم أن يتواضع لإخوانه المسلمين ويتعرف إلـــيهم، وهذه فائدة اجتماعية، كما أنها تمده بمشاعر القوة والاعتزاز بهذا الدين عندما يرى بيـــوت الله مليئـــة بالمصلين، وهذه فائدة نفسية، كل هذه الفوائد يجنيها العبد مع غيرها من الفوائد الأخرى من خـــلال صلاة الجماعة، لذا لا عجب أن نجد الدين الحنيف يحث عليها ويوصي بها لأن الدين بحق إنما هو ديـــن الجماعة.

---

[1] – الفذ: المنفرد.

[2] – مشكاة المصابيح، (332/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الكسب الشريف ورفض التسول

عن سمرة بن جندب، قال: قال رسول الله ﷺ: (المسائل كُدوح[1] يكدح بها الرجل وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء تركه، إلا أن يسأل الرجل ذا سلطان، أو في أمر لا يجد منه بدا). رواه أبو داود والترمذي والنسائي[2].

حرص الدين الحنيف على تربية العزة والكرامة في نفوس أبنائه، فهو لا يريد من المسلم أن يكون عالة المجتمع، يمد يده للناس، أو يطوف على بيوتهم متسولا، وهو في الوقت الذي أمر فيه بالإنفاق والصدقة، فإنه أمر أيضا بالتعفف وعدم السؤال لغير الحاجة الملحة، وهنا يلتقي التشريع الإسلامي مع مبادئ التربية السليمة من أجل إيجاد مجتمع متعاون متكافل، فالإسلام لا يريد أغنياء أشحاء يبخلون بالمال، لأن البخل يهلك الأمة، حيث يدفع بعض الفقراء إلى ارتكاب الجرائم، فيأخذون من أموال الناس كرها ما لم يدفع إليهم طوعا عن طريق الزكاة والصدقات، وكذلك لا يريد الإسلام فقراء طامعين لا يشبعون من جمع المال بأية وسيلة ولو بالتسول، لأن الفقر الحقيقي هو الفقر من الفضائل والخلاق، وعزة الإنسان أثمن المال، والعمر أكبر من أن يضيع بالبحث عن المال فقط، يقول المتنبي:[3]

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقد نفَّر النبي الكريم ﷺ من السؤال بهذه الصورة البيانية الرائعة، حين شبه المسائل بالجروح والخدوش، فمن ذا يحب أن يمشي بين الناس وهو جريح الوجه يترف وجهه دما؟! وكأن أحدا قد ضربه في وجهه فجرحه! وأي مهانة أكبر من أن يضرب المرء على وجهه، أو أنفه الذي هو موضع العزة والكرامة؟! ثم بين الرسول الكريم المسألة المباحة وهي سؤال السلطان الذي هو بمثابة الأب للمجتمع، وعليه أن يرعى أبناءه جميعا، والسؤال عند الضرورة والحاجة الملحة، حيث الضرورات تبيح المحظورات، وفيما سوى ذلك، فعليه أن يقلع عن السؤال لأنه مذلة لصاحبه، وقد جاء الإسلام لدفع المذلة عن الناس، قال تعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)[4].

---

[1] – الكدوح: الخدوش والجروح.

[2] – مشكاة المصابيح، (578/1).

[3] – مختارات البارودي، (37/1).

[4] – سورة المنافقون، الآية (8).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حقوق الحيوان

قال رسول الله ﷺ: (دخلت امرأة النار في هرة، ربطتها، فلم تطعمها، و لم تدعها تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت). رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه عن أبي هريرة، والبخاري عن ابن عمر[1].

الحيوان شريك الإنسان على هذه الأرض، وله حقوقه التي ينبغي أن يتمتع بها، ولا ينبغي للإنسان أن يتعدى على هذه الحقوق، ولكن عليه أن يحافظ عليها، وأن يكون راعيا لها، وهو مسئول أمام الله عن ذلك، وله أن يستمتع بالحيوان ويستفيد منه وفق ضوابط شرعية محددة، وليس هنا موضع تفصيلها.

وهذا الحديث الشريف يؤكد مصير امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها، مما يدل على قسوة بالغة في قلب تلك المرأة، والتي كان ينبغي لها أن تكون ذات قلب رحيم بحكم أنوثتها من جهة، ودينها من جهة أخرى، ولكن كم من النساء من يملكن قلوبا أشد قساوة من قلوب الرجال؟! بل ربما كانت قلوب الرجال ألين أحيانا، فنحن نعلم أن أبا هريرة رضي الله عنه كانت لديه هرة صغيرة يضعها في كمه ويلاعبها في مسجد رسول الله ﷺ، حتى كني بها، وربما يجهل بعضنا أن اسمه هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه.

وقد استحقت المرأة الظالمة هنا نار جهنم لأنها حبست حيوانا بريئا و لم تقدم له الطعام حتى مات جوعا، وإذا كان ديننا الحنيف يأبى إيذاء الحيوان ومحاصرته إذ (لا ضرر ولا ضرار)[2]، فهو من باب أولى أن يكون أشد إباء ورفضا لإيذاء الإنسان ومحاصرته، وتركه يموت جوعا، وهو موقف حميد من هذا الدين، ومبدأ نبيل لا تعرفه حضارة عصرنا التي تحاصر أمما وشعوبا في أوطانها، وترميهم بالقذائف من فوقهم، ليموتوا هما وحزنا وجوعا وحرقا في عصر يقال عنه عصر التحرر وحقوق الإنسان!.

---

[1] – فيض القدير شرح الجامع الصغير، (3/522-523).

[2] – رواه أحمد وغيره، وقال النووي في الأذكار: هو حسن. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، (6/431-432).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الخامس

شئون اقتصـــــــــادية

المـــــال عصب الحياة

عن عمرو بن العاص، قال: أرسل إليّ رسول الله ﷺ: (أن اجمع عليك سلاحك، وثيابك، ثم ائتني). قال: فأتيته وهو يتوضأ. فقال: (يا عمرو! إني أرسلت إليك لأبعثك في وجه يسلمك الله ويغنمـــك، وأزغب لك زغبة[1] من المال). فقلت: يا رسول الله! ما كانت هجرتي للمال، ومـــا كانـــت إلا لله ولرسوله. قال: (نعما بالمال الصالح للرجل الصالح) رواه البغوي في شرح السنة وروى أحمد نحوه، وفي روايته: (نعم المال الصالح للرجل الصالح)[2].

المال عصب الحياة، فبواسطته يستطيع المرء أن يتعفف عن سؤال الناس، وأن يســـاعد الفقـــراء والمحتاجين، وأن يبني دور العبادة، وأن يقيم الأسواق والمدن، وأن يعمر الأرض ويزرعهـــا، وأن يعـــد الجيش القادر على حماية منجزاته وبلده.

والمال سلاح ذو حدين، فإذا ملكه الصالح سخره في خدمة نفسه والمجتمع، فتنعم بما أحل الله له من متاع الدنيا، ومسح به دموع الفقراء والمساكين، وهنا يتحول المال بيده إلى وسيلة إيجابية للنهوض بالفرد والأسرة والمجتمع، ولبناء الحضارة الراشدة، وكان سببا لدخول الجنة، قال تعالى: {وســـيجنبها الأتقى، الذي يؤتي ماله يتزكى، وما لأحد عنده من نعمة تجزى، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، ولســـوف يرضى}[3].

وأما إذا حاز المال الرجل الفاسد، فإنه يتخذ منه وسيلة لتحقيق أهوائه وملذاته، وسوطا لقهـــر الآخرين وإذلالهم، فتجده متغطرسا متكبرا، يتعامل مع الناس باستعلاء كاذب، ويذلهم عندما يحتاجونه، وقد يمنع العطاء لمستحقيه، ويمارس أساليب الكسب غير المشروع، وذلك لكي يكدس المال في خزائنه، وربما كذب الأنبياء والمرسلين، وازدرى العلماء والصالحين، وفي مثل هذا الصنف من الناس نزل قولـــه تعالى: {ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالا وعدده، يحسب أن ماله أخلده، كلا لينبذن في الحطمة}[4].

وقد حث النبـــي الكريم ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ أمته في هذا الحديث على السعي والجد والاجتهاد، حتى تكون أمة قادرة بناءة ذات مستقبل واعد، وذلك لأن استخدام كلمة (نعم) في الحديث إنما أراد به المدح، فالمال الصالح ممدوح إذا كان بيد الرجل الصالح، لأنه سيســـتخدمه في المنـــافع دون المفاسد، وإذا سعى الناس إلى كسب المال الصالح استغنوا عن مذلة السؤال الذي يذهب بالكرامة ويلوي

---

1 – أي أقطع لك قطعة أو دفعة من المال.

2 – مشكاة المصابيح، (1108/2-1109).

3 – سورة الليل، الآيات (17-21).

4 – سورة الهمزة، الآيات (1-4).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعناق الرجال، وتقييد المال بوصف الصالح احتراز عن المال الفاسد، سواء كانت العينة فاسدة بذاتها كالخمر أو لحم الخنزير مثلا، أو فاسدة في طريقة اكتسابها كالمال المسروق أو المغتصب ونحو ذلك.

وهذا الحديث على إيجازه يوضح التصور الإسلامي للمال، فهو لا يزهد فيه زهد رهبان النصارى، ولا يحبذ جمعه جمع أحبار اليهود، وإنما يحبذ جمعه بالحلال، وإنفاقه باعتدال، لأن الوسطية هي القاعدة العريضة للتشريع الإسلامي في شئون الحياة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آفـــــــــــة الفقـــــــــــــر

عن أبي سعيد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أعوذ بالله من الكفر والدَّين). فقال رجل: يا رسول الله! أتعدل الكفر بالدَّين؟ قال: (نعم). وفي رواية: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر). قال رجل: ويعدلان؟ قال: (نعم). رواه النسائي[1].

الفقر آفة المجتمعات الإنسانية، وهو مذموم لذاته، وقد وردت في ذلك آثار كثيرة منـــها قولـــه تعالى: {الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء}[2]. وامتدح الله المال وسماه الخير في قوله: {وإنـــه لحب الخير لشديد}[3]. ومن أسماء الله الغني، وهو اسم يبعث على الثقة والاعتزاز بالعبودية لله عز وجل، ولذلك قال الشاعر:

كيف أخشى الفقر يوما وأنـــــــــــا عبد الغني

وقد سوى هذا الحديث بين الكفر والفقر، لأن الفقر يقود إلى الكفر، والكفر يقود إلى الفقـــر، قال تعالى: {لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد}[4].

وقد قرن الشاعر أبو دلامة بين الكفر والفقر، فقال:[5]

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح الكفر والإفلاس في الرجل

بيد أن الغنى قد يكون مذموما إذا صرف صاحبه عن واجباته الدينية، واهتماماتـــه الإنســـانية، فصار لا يعرف إلا رنين الدراهم ولا يرى إلا بريق الذهب، وهنا يصبح فقيرا في جوانبـــه الإنســـانية والإيمانية، وقد ندد المتنبي ب هذا الفريق من الناس، فقال:[6]

ومن ينفق الساعات في جمع ماله

مخافة فقر فالذي فعل الفقر

كما أن الفقر قد يكون ممدوحا، لا لذاته، وإنما إذا كان بسبب عارض من هجرة أو جهـــاد، حيث يترك الإنسان ماله في سبيل ما هو أغلى وأهم وهو العقيدة، وفي هذا السياق امتـــدح الله تعـــالى الفقراء من المهاجرين في قوله:{للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يســـتطيعون ضـــربا في الأرض

---

[1] – مشكاة المصابيح، (764/2).

[2] – سورة البقرة، الآية (268).

[3] – سورة العاديات، الآية (8).

[4] – سورة إبراهيم، الآية (7).

[5] – معاهد التنصيص، للعباسي، (207/2).

[6] – مختارات البارودي، (37/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف}[1]. كما يمدح الفقر إذا كان محنة من الله ابتلى بها عبدا من عباده، فصبر على تلك المحنة، وشأن الفقر هنا شأن المرض أو المصيبة التي لا تكون محمودة في ذاتها، وإنما يحمد الصبر عليها، والرضا بقضاء الله وقدره عند مجيئها، فتكون المحنة نعمة في عقباها، كما أن بعض النعم تكون نقمة في عقباها إذا لم يقم العبد بشكرها، وإلى هذا المعنى أشار أبو تمام حين قال:[2]

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نفهم جميع الآثار الواردة في مدح الفقر، فهي لم تمدحه لذاته، وإنما مدحته إذا كان بسبب الجهاد والهجرة ونحو ذلك، ووظيفة هذه الآثار أن تبث في الفقراء روح الصبر والمواساة والأمل، حتى يواجهوا الحياة بقوة وثبات، لا كما فهم بعض الناس من أن هذه الآثار تؤثر الفقر على الغنى، فالحضارات والتنافس فيها لا يتم إلا عن بسطة في المال، وقد جعل الله المال قوام الحياة.

---

[1] – سورة البقرة، الآية (273).

[2] – مختارات البارودي، (213/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الترغيب بالنفقة على الأسرة

عن أبي مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أنفق المسلم نفقة على أهله، وهو يحتسبها، كانت له صدقة). متفق عليه[1].

الأسرة هي مجتمع صغير، يتكون من الأبوين اللذين يقودانها، والأبناء التابعين لهما، وتمثل الأسرة نواة للمجتمع الكبير الذي يتكون عادة من اجتماع عدد قليل من الأسر كما في القرى والأرياف، أو عدد كبير منها كما في المدن والعواصم.

ورعاية الأسرة مسئولية الأب أولا، والأم ثانيا، وتشمل الرعاية التوجيه والتعليم كما تشمل الغذاء والكساء، وأي خلل في العملية التربوية ينتج أبناء غير إيجابيين في حياتهم الاجتماعية.

وهذا الحديث الشريف يرشدنا إلى أهمية الإنفاق على الأسرة، ويعتبره صدقة إذا احتسب المؤمن بإنفاقه وجه الله تعالى، فالصدقة لا تكون على الأباعد فقط، وإنما تبدأ من الأقرباء، ثم تتسع الدائرة بعد ذلك لتشمل الغرباء، فإذا بخل الآباء على أبنائهم، صاروا بحاجة إلى المال، بمعنى آخر صاروا كالفقراء فهم بحاجة إلى من يتصدق عليهم، بيد أن الناس لا تعرف ذلك، فيعانون من الحرمان وشظف العيش، مع أن الأب ربما كان غنيا ولكنه يقتر ولا ينفق، ولذلك حث النبي المربي ﷺ على الإنفاق على الأسرة، واعتبره صدقة كصدقة التطوع، حتى لا يتوانى الآباء عن الإنفاق لأي سبب كان، اللهم إلا إذا كان الأب معسرا، فتلك قضية أخرى.

إن المال وجد لسعادة الإنسان وخدمته، لا لقهره واستعباده، وما من أحد سيغادر الدنيا بصحبة خزائنه وأمواله، والسعيد من استمتع بالمال الحلال في حياته، واستمتع به أبناؤه معه، وأنفقه في غير معصية الله عز وجل، وما أحسن قول أبي العتاهية:[2]

إذا المرء لم يعتق من المال رقه
تملكه المال الذي هو مالكه
ألا إنما مالي الذي أنا منفق
وليس لي المال الذي أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذي
يحق وإلا استهلكته هوالكه

وهذا الحديث النبوي لو عمل به الناس لكان أحد دعائم الأسرة، ولما وجدنا كثيرا من حالات الطلاق بسبب بخل بعض الآباء أو تقصيرهم تجاه من يعولونهم، فالإنفاق على الأسرة صدقة، وحري بالعاقل أن يتصدق على أسرته، وأن يغسل بهذه الصدقة هموم أبنائه ويحقق أحلامهم.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (602/1).

[2] – ديوانه، ص (317).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يبقى أن نشير إلى أن المراد بالصدقة هنا صدقة التطوع، وأما الزكاة فلها حكم آخر، ومصارفها محددة بنص الكتاب، ومفصلة في كتب السنة والفقه الإسلامي، فلا يجوز دفعها على الأقارب الذين يلزم على المسلم مؤونتهم من الأصول والفروع، كالأب والأم والجد والجدة وإن علوا، والابن والابنة وأولادهما وإن نزلوا كولد الابن أو ولد البنت، والله أعلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعاملة المثالية في عالم الاقتصاد

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (اشترى رجل ممن كان قبلكم عقارا من رجل، فوجد الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك عني، إنما اشتريت العقار، ولم أبتع منك الذهب. فقال بائع الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها. فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟. فقال أحدهما: لي غلام. وقال الآخر: لي جارية. فقال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا عليهما منه، وتصدقوا). متفق عليه[1].

هذا الحديث الشريف يمكن دراسته تحت أكثر من عنوان، فهو يصلح لأن يدرس تحت عنوان القصة في الحديث النبوي، أو تحت عنوان الزواج المبكر، أو التشجيع على بناء الأسرة المسلمة، أو الحاكم العادل... بيد أنني اخترت له عنوان المعاملة المثالية في عالم الاقتصاد مراعاة لواقع عصرنا اليوم، حيث الحديث عن العولمة والتجارة الحرة العالمية بات على كل لسان، وباتت الشركات الكبرى في هذا العالم تتحكم بلقمة الشعوب ومصائرها، وبات العالم كله مهددا بجشع الشركات الاحتكارية التي لا تمل عن جمع المال بأي أسلوب كان.

وجمع المال حق مشروع، ولكن ينبغي أن تكون هنالك معايير إنسانية تحكم طريقة جمعه، وتهذب سلوك الناس، لئلا تتحول المجتمعات الإنسانية إلى بحر متلاطم الأمواج، تأكل حيتانه أسماكه، أو إلى غابة يفترس الفاتك المتوحش فيها من هو أليف ومسالم، والأسوأ من هذا أن يسمى هذا الصراع على المصالح المادية بأسماء منمقة، وأن ينظر جل أساطين المال في هذا العالم إلى تعاليم الأديان التي تأمر بالتسامح والرحمة بين الناس على أنها تعاليم مثالية تتناقض مع الواقع ولا يمكن تطبيقها في عالم الاقتصاد اليوم والذي يقوم على المنافسة الحرة ومتطلبات السوق. إن الرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ عندما قص هذه القصة أراد أن يبين بأن التسامح في البيع والشراء هو الأصل الذي ينبغي أن تقوم عليه العملية الاقتصادية، وأن المال ينبغي أن لا يكون هو الغاية العليا، وإنما أداء الحقوق هو الغاية العليا، وينبغي أن يتخذ المال وسيلة لبناء علاقات المحبة الإنسانية، وليس للتقاطع والخصومات، وأن يكون المال معمرا للحياة ممهدا لاستمرارها عبر بناء الأسرة، لا مدمرا لها ومفككا للعلاقات الاجتماعية.

ومثل هذه القصة لو حدثت في عصرنا لاتهم بعض الناس البائع والمشتري بالمس، وذلك لما أصاب المفاهيم من لوثة الفلسفات المادية التي تجعل من المادة القيمة العليا في الحياة، وهذا ما كرس الفقر عند شرائح كبيرة من الأمم والشعوب، وجعل الناس يأكل بعضهم بعضا، مع أن أرزاقهم مكتوبة لهم عند الله في السماء!

---

[1] – مشكاة المصابيح، (872/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النبـــي الكريم يرهن درعه

عن عائشة، قالت: (اشترى رسول الله ﷺ طعاما من يهودي إلى أجل، ورهنه درعا له مـــن حديد). متفق عليه[1].

هذا حديث موجز، ولكنه عظيم استوقفتني فيه أمور:

الأول: شراء النبـــي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ للطعام، مما يدل على إباحة البيع والشراء أو ما يسمى بالعمليات التبادلية اليوم، ولذلك لا ينبغي لأي مشرع في هذا العالم أن يتدخل بتحريم البيع والشـــراء، لأن في التجارة منافع للناس، وقد اصطدمت الشيوعية مع فطرة الناس، وذهبت لغير رجعة، وذلك لأنها خرجت على قوانين الحياة وأنشأت نظاما اقتصاديا يلغي المنافسة ويجعل للدولة سلطانا مباشـــرا علـــى السلع والأسواق والعمليات التجارية، ويقيد حرية الناس الاقتصادية ويلغي الملكية الخاصة..إلخ.

الثاني: أن الشراء تم من يهودي، وهذا يعني عدم الإضرار بالأقليات التي تعيش مـــع المســـلمين، أو مقاطعتها، أو تهديدها في أرزاقها، فهي تعيش مع المسلمين في أمن وأمان، ويتبادل معهـــا المســـلمون الأنشطة الاقتصادية المشروعة دون حرج، فالإسلام لا يؤمن بقهر الآخرين على اتباعه، والضغط عليهم بأي أسلوب كان، وإنما يترك لهم حريتهم وقرارهم الخاص بهم في هذا الشأن.

الثالث: إباحة الرهن لما فيه من مصلحة للطرفين، فالبائع ضمن حقه، والمشتري حصل السلعة، وفي هذا تيسير على الطرفين، ودفع بالحركة الاقتصادية إلى الأمام، وقضاء على أسباب الركود الاقتصادي عند عدم توفر السيولة لدى المشتري.

الرابع: أن الدرع هي كتر النبـــي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ، فلم يكن يكتنز غيرها من الأمـــوال، وهذه هي أخلاق كرام الفرسان الذين لا يدخرون شيئا إلا سلاحهم، فإذا جاعوا رهنـــوا ســـلاحهم للضرورة ليس إلا.

ولعل تساؤلا يثار هنا، وهو أن النبـــي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ لم يكن فقيرا، فقد أغناه ربه ورعاه، فلماذا احتاج إلى رهن درعه حتى يأكل؟ والمتأمل في السيرة النبوية يجد أن الرسول ـــ عليـــه الصلاة والسلام ـــ كان أجود الناس، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة، وقد أنفق علـــى الـــدعوة والغزوات وأصحابه، وساعد الأيتام والأرامل والفقراء، ومن يكن هذا شأنه قد يتعرض للجوع أو نحوه لا بسبب من فقر، وإنما بسبب من كرمه الذي لا ينتهي، فما هو إلا كما قال الشاعر مسلم بن الوليد:[2]

فلو لم يكن في كفه غير روحه

لجاد بها فليتق الله ســـــــــــــائله

الخامس: أن الرهن كان إلى أجل معلوم، فلا ينبغي أن تكون العمليات التجارية سائبة من دون توقيت، لأن الوقت هو الحياة، واستثماره من البائع والمشتري فيه مصلحة لهما.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (873/2).

[2] – مختارات البارودي، (122/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تجنب الخيانة المهنية

عن عدي بن عميرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (من استعملناه منكم على عمل، فكتمنا مخيطا فما فوقه، كان غلولا يأتي به يوم القيامة). رواه مسلم.[1]

من أهم المشكلات التي يعاني منها المجتمع المدني هي الغلول، أي الخيانة للمهنة والتي تتمثل بصور شتى، منها:

1- أخذ الرشاوى العينية والمادية بدعوى أنها هدايا.
2- سرقة موارد الدولة بالاحتيال والطرق الملتوية.
3- استخدام العهد التي يحوزة الموظف لأغراض شخصية غير مسموح بها.
4- تقديم الهدايا من أموال الدولة إلى غير مستحقيها.

وإذا كانت الدولة لا تستطيع مراقبة سلوك كل موظف يعمل لديها، فلا شك أن هنالك رقيب عتيد على كل إنسان، وإذا لم ينل المرء عقابه في الدنيا، فإن الله سيفضحه يوم يقوم الأشهاد، ويحاسب ولو على مخيط أي إبرة أخذها بغير وجه حق من المال العام للمسلمين.

لقد أراد الرسول الكريم ﷺ من أمته المحافظة على المال العام، والترفع عن النهب والسلب والرشاوى بغير وجه حق، لأن أساس بناء الدولة المتحضرة هو الموظف المستقيم الذي يخاف ربه من فوقه، ويعلم أنه يراقبه إذا لم تستطع أن تراقبه عيون الناس.

وإذا كان هذا الحديث قد تناول الجانب المادي في خيانة المهنة والمتمثل بنهب المال العام عن طريق استغلال المنصب، وهو أسوأ صور الخيانة المهنية، فإن هنالك مظاهر أخرى للخيانة المهنية، نذكر منها:

- التأخر عن العمل بغيير سبب.
- الانصراف قبل انتهاء وقت العمل.
- أخذ إجازات مرضية بغير وجه حق.
- عدم إتقان العمل.
- إزعاج الزملاء والمراجعين.
- النميمة والغيبة والفساد والإيقاع بين الرئيس والمرؤوس.
- التدخين في الأماكن التي لا يسمح بها.

فالموظف الصالح هو الذي يؤدي عمله على أكمل وجه، ولا يضيع أوقات الناس بانتظاره، ولا يزعجهم بدخانه، ولا يقوم بسرقة المال العام، ومثل هذا الموظف هو من تبحث عنه الدول، ولن تجده إلا إذا كان له من الإيمان والضمير والخلق ما يحول بينه وبين السلوك السلبي في أداء المهنة.

---

[1] - مشكاة المصابيح، (559/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أداء الأمانة في العمليات الاقتصادية

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ لأصحاب الكيل والميزان: (إنكم قد وليتم أمرين، هلكت فيهما الأمم السابقة قبلكم). رواه الترمذي[1].

هلاك الأمم له أسباب عديدة، منها الخروج عن منهج الله، والتمرد على أنبيائه ورسله، وانتشار المفاسد العقدية والسلوكية، إلخ. وهذا الحديث يشير إلى عامل مهم من عوامل هلاك الأمم، وهو الفساد الاقتصادي، والذي يتجلى بأسوأ صوره في تطفيف الكيل والميزان، أي ببخس الناس حقوقهم. ولأهمية هذا الموضوع نزلت سورة المطففين تتوعد أولئك الذين يبخسون الناس حقوقهم بالعذاب الأليم يوم القيامة.

وهذا الحديث على إيجازه يبين أهمية أداء الأمانة في العمليات الاقتصادية، وذلك حفاظا على أمن المجتمع وسلامة الناس، وفيه تبرز عظمة التصور الإسلامي للحياة، والذي ترتبط فيه العقيدة بالسلوك، وتمتزج جميع الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية والدينية ببعضها البعض، بحيث يؤدي الخلل في إحداها إلى خلل في النسيج الاجتماعي والبنية الأساسية للأمة، مما يستوجب الهلاك للجميع، وقد لا يكون العقاب دنيويا وحسب، وإنما قد يتعدى تأثيره إلى الآخرة، فحين يكون الكسب حراما، فإن هذا بدوره سينعكس سلبا على عمل المسلم كما بينت أحاديث كثيرة، فقد يمنع استجابة الدعاء أو رفع العمل الصالح إلى الله، أو يحبط العمل أو يسبب سوء الخاتمة.

والهلاك في الأمم السابقة كان يتم بصورة عقاب مباشر من الله عز وجل، كأن يغرق الله قوما، أو يرسل عليهم حاصبا، أو صيحة، أو بالخسف والمسخ ونحو ذلك، بيد أنه في هذه الأمة التي أكرمها الله ببعثة محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ لا يكون بتلك الصور المباشرة، وإنما يكون بالتآكل من داخلها، فلم يسلط الله على هذه الأمة عدوا من سوى أنفسهم، وعندما يتآكل المجتمع من داخله سرعان ما يهوي أمام أي صدمة يتعرض لها من الآخرين. ولذلك حرص الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ على وحدة المجتمع المسلم وتماسكه من داخله، لأنه إذا تماسك من داخله استعصى على كل الأعاصير، وليس التماسك بالشعارات الجميلة وحدها، وإنما بتحول تلك الشعارات إلى ممارسة يومية يعايشها الناس في سلوكهم، وليس ثمة ممارسة أهم من البيع والشراء في الأسواق، فإذا تمت العمليات الاقتصادية بين الناس بتراهة من دون بخس ولا غش ولا تطفيف، بقيت لحمة المجتمع متماسكة، واستتب الأمن الاقتصادي الذي هو دعامة للأمن الاجتماعي في حياة الأمم.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (874/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفاء ديون العباد

عن سلمة بن الأكوع، قال: كنا جلوسا عند النبـــي ﷺ، إذ أُتي بجنازة، فقالوا: صل عليها. فقال: (هل عليه دين؟) قالوا: لا. فصلى عليها. ثم أتي بجنازة أخرى، فقال: (هل عليه دين؟) قـــالوا: نعم. قال: (فهل ترك شيئا؟) قالوا: ثلاثة دنانير. فصلى عليها. ثم أتي بالثالثة: فقال: (هل عليه دين؟) قالوا: ثلاثة دنانير. قال: (هل ترك شيئا؟) قالوا: لا. قال: (صلوا على صاحبكم). قال أبو قتادة: صل عليه يا رسول الله! وعليّ دينه. فصلى عليه. رواه البخاري[1].

الإسلام دين ودنيا، وعبادة ومعاملة، أو هو تنظيم لعلاقة العبد بربه من جهة وعلاقته بإخوانـــه البشر من جهة أخرى، ولكل علاقة خصائص وصفات معينة، والإضرار بإحداهما إضرار بالأخرى، فلا يمكن لتقي مثلا أن يظلم الناس أو يؤذيهم، والعكس صحيح، فلا يمكن لإنسان عاقل يـــؤدي حقـــوق الناس على أتم وجه أن يضيع حق الله، وهو أمر كان قد تنبه إليه هرقل عظيم الروم حين سأل أبا سفيان عن النبـــي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ أسئلة كثيرة، ثم قال له عقب الأسئلة التي أجاب عنـــها أبـــو سفيان: (وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا. قال هرقل: فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب ويكذب على الله)[2].

وهذا الحديث يبين ضرورة إصلاح العلاقة بين العبد وإخوانه، فإذا مات العبد وعليـــه ديـــن، وجب قضاء دينه مما تركه من ميراث، حتى يذهب إلى الله تعالى طاهر الذيل، لا يطلب ذمته أحد، ولهذا صلى النبـــي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ على من مات وترك من المال ما يسد دينه.

وحين جاءته جنازة على صاحبها دين وليس له ما يسده أبى أن يصلي عليها، وأمر أصـــحابه بالصلاة نيابة عنه، وليس هذا جفاء منه ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ للميت، وهـــو بـــالمؤمنين رؤوف رحيم كما وصفه ربه، وإنما لأن سداد الدين ضرورة، فقد يكون صاحب القرض محتاجا إلى ذلك المال، وربما استحى أن يطالب به بعد موت المدين، ولذلك تحرى النبـــي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ وضـــع الميت ودينه، لكي يبين لأمته بأنه لا تهاون في حقوق العباد المالية لأي سبب كان، حتى الشهيد الـــذي يبذل روحه في سبيل الله يغفر له كل ذنوبه ما عدا الدين.

وهنا يبرز دور أبي قتادة الذي يعبر عن تلاحم المجتمع المسلم، حيث أبى أن يرى أخاه المســـلم محروما من بركة صلاة النبـــي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ على جنازته، فتعهد بقضاء دين أخيه المسلم، وهنا تقدم النبـــي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ فصلى على الجنازة، وفي هذا إرشاد لأمته أيما إرشاد بأن لا يتهاونوا في أداء حقوقهم المالية، لأن التهاون فيها لا يفسد نسيج المجتمع المسلم في الدنيا وحســـب، وإنما قد يتسبب في ضياع الآخرة والعياذ بالله من ذلك.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (879/2).

[2] – الحديث متفق عليه عن ابن عباس، انظر: مشكاة المصابيح، (1632/3-1634).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رعاية حقوق الآخرين

عن رافع بن عمرو الغفاري، قال: كنت غلاما أرمي نخل الأنصار، فأتي بي النبي ﷺ، فقال: (يا غلام لم ترمي النخل؟) قلت: آكل. قال: (فلا ترم، وكل مما سقط في أسفلها). ثم مسح رأسه فقال: (اللهم أشبع بطنه). رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه[1].

الإسلام دين التربية والتهذيب للنفس الإنسانية، وهو يرعاها من المهد إلى اللحد صقلا وتثقيفا وتوجيها لما فيه مصلحتها ومصلحة الآخرين، وهو يرفض العدوان والظلم لأي سبب كان، وهذا الحديث شاهد على ذلك.

فرافع غلام كان يسير في طرقات المدينة، فيستهويه منظر النخل وقد آتت أكلها، فيبادر إلى رميها بالحجارة، لعله يتساقط عليه رطبها فيأكله، ومثل هذا العمل دافعه شهوة الطعام أو غريزة الجوع، وهي غريزة لا بد أن تشبع، بيد أن إشباعها بهذه الطريقة فيه أذى للآخرين، فأصحاب النخل يتأذى نخلهم عندما يرمى بالحجارة، ولذلك كان لا بد من القبض على من يفعل هذا، والإتيان به إلى النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ ليصدر حكمه القاطع في هذه القضية، والنبي ﷺ هو الحاكم العادل الذي يرفض الظلم من جهة، وهو كالأب الرحيم الذي يأبى أن يلحق الأذى بأحد أبنائه من جهة أخرى، فحين سأل رافع عن سبب رميه للنخل، أجاب رافع بأنه يريد أن يأكل منها، وهنا اطمأن النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ إلى أن سلوك رافع ليس ناشئا عن دوافع عدوانية كما نجده في بعض الأطفال، فبادر إلى توجيهه للسلوك الصحيح، وهو أن يكف عن الرمي، ويأكل مما سقط في أسفلها، لأن هذا الساقط معرض للتلف إن لم يلتقط، فالأكل منه لا يضر بمصلحة المالك، وهو بالمقابل يسد الرمق ويذهب بالجوع، فتتحقق مصلحة بدون مفسدة، وهذا هو هدف التشريع الإسلامي بمجمله، وهو تحقيق المصالح ودرء المفاسد. وإمعانا في تحقيق المصلحة ودرء المفسدة، ومن أجل تكامل المنهج التربوي الذي يقوم على التوجيه من جهة، والالتجاء إلى الله لكي يحول هذا التوجيه إلى سلوك وممارسة من جهة أخرى، يبتهل النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ إلى ربه، بأن يشبع بطن ذلك الفتى، فيقيه بذلك من أكل ما لا يحل له، ويحفظه من الأذى الذي قد يلحقه من قبل مالكي النخل والبساتين، وهو أمر كثير ما يغفل عنه التربويون اليوم، حيث يقومون بالإرشاد متناسين الدعاء وما يتبعه من أثر طيب في نفوس من يرشدونهم.

إن المدرسة النبوية الكريمة مدرسة متكاملة في منهجها التربوي، وهي مدرسة لا تلجأ للعقاب إلا كوسيلة أخيرة في بعض الحالات النادرة، وهي تقوم على التوجيه والتسديد والتواصل الاجتماعي والتفعيل الروحي للمتلقي، بهدف المحافظة على حق الله وحقوق العباد.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (891/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث السادس

شـــــئون سياسية

دين المسؤولية الجماعية

عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) متفق عليه[1].

ينطلق التصور الإسلامي للمجتمع المسلم من قاعدة أساسية وهي أن المجتمع الإنساني هو وحدة واحدة، مكون من دوائر متداخلة تشكل في مجموعها هذا المجتمع، وتبعا لهذه الدوائر تكون المسـئولية والمحاسبة في الدنيا والآخرة، مما يولد لدى الإنسان في أي موقع كان شعورا بالمراقبة يدفعه إلى تحسـين الأداء في تعامله مع الآخرين.

والدائرة الأولى هي أشمل الدوائر وأوسعها، وهي دائرة الإمام أي الحاكم الذي يلتف حولـه جميع أفراد المجتمع، وبالتالي فهو يكون مسؤولا عنهم فردا فردا، والدائرة الثانية هي دائرة الأسرة حيث تقع المسؤولية فيها على الأبوين ابتداء بالأب الذي يمثل ربان السفينة، ثم الأم التي تساعده على مواصلة الأمانة الموكلة إليهما في تخريج أبناء صالحين للمجتمع، والدائرة الثالثة هي دائرة الخدمات العامة الـتي تشمل كل من يقوم بعمل أو خدمة مقابل أجر معين، وتشمل هذه الطبقة كبار الموظفين وصـغارهم وتنتهي بطبقة الخدم والعبيد، فهؤلاء جميعا مسؤولون عما يناط بهم من مسؤوليات، كل بحسب موقعه، وأما الدائرة الرابعة فتشمل بقية أفراد المجتمع من تجار ومهنيين وفلاحين ونحوهم، وهي وإن لم تذكر في الحديث، لكنها داخلة في لفظ العموم الذي تفيده كلمة كل.

وقد استخدم النبـي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ لفظ الراعي لما يوحي به هذا اللفـظ مـن مسئولية، وذلك لأن الراعي ليس هو المالك الأصلي وإنما هو مستأجر من المالك، فبقدر ما يكون أداؤه جيدا، بقدر ما ينال رضا المالك، ويستحق إثر ذلك الرضاء أن يستمر في موقعه ويثاب عليه، والعكس أيضا صحيح، والمالك الحقيقي للراعي والرعية هو الله رب العالمين، ولذلك على الراعي تحمل مسئوليته أمام الخالق عز وجل، وذلك بالنصح للرعية، وتوفير أمنها الغذائي والاجتماعي والصحي، والحرص على سلامة كل فرد من أفراد الرعية، وعلى نمو الأفراد وزيادة أعدادهم وعدتهم، وعلى أن تكون العلاقة بينه وبين الرعية قائمة على مقومات إيجابية من الصون والرعاية والأمانة، لأن هذه المقومات هـي أسـاس النجاح في التعامل بين الراعي والرعية، وعليها مدار الأنظمة والتشريعات عبر تاريخ الإنسانية كلـها، سواء كان الراعي حاكما أو أبا أو في أي موقع اجتماعي كان.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1090/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تقدم الكلام في الحديث السابق عن قول رسول الله ﷺ: (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) الحديث، وليس في لفظ الراعي ما يتوهمه بعض الباحثين من المستغربين ونحوهم من أن الراعي يحق له أن يتصرف بالرعية كما يريد ظلما وطغيانا، فله السلطة المطلقة وعلى الرعية التسليم له ولو قادها إلى المهالك، فلا رأي لها ولا كرامة لأنها قطيع يقوده الراعي حيث يشاء، وما على القطيع سوى السمع والطاعة، وأمام التطور الهائل في النظريات والعلوم الاجتماعية والسياسية في هذا العصر لم يعد مفهوم الراعي والرعية مقبولا كما يزعمون، وقد جدنا من يفهم قول النبي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ فهما خاطئا، حتى من بعض الكتاب المسلمين، فقد كتب الأستاذ الراحل خالد محمد خالد رحمه الله في مطلع حياته كتابا بعنوان: (مواطنون لا رعايا)، وهذا الفهم للعلاقة بين الراعي والرعية سواء كان الراعي حاكما أو رب أسرة أو موظفا أو نحو ذلك ليس مقصودا في الحديث، وعلى الإنسان ألا ينكر شيئا مما قاله النبي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ في الأحاديث الصحيحة، وإنما ينبغي له أن يتخذ لنفسه منهجا سليما، بقوم بالنظرة إلى السنة كبناء شامخ متماسك، وينظر إلى كل موضوع من جميع جوانبه، لا من خلال حديث واحد فقط يكون حكمه ناقصا على قضية كبيرة مثل العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهي علاقة أراد الرسول ﷺ لها أن تقوم على الرعاية والأمانة من جانب الحاكم في هذا الحديث، وأراد لها أن تقوم على النصح والتقويم من جانب الرعية في حديث آخر، حيث قال النبي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ: (إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك ظالم فقد تودع منهم)[1].

فالظالم أيا كان موقعه في المجتمع أبا أو مديرا أو زعيما ينبغي أن تقال له كلمة الحق ليكف عن ظلمه ويعود إلى الصواب، وذلك لأن الظلم إساءة لصاحبه قبل الآخرين، وقد جاء الإسلام لإصلاح الناس جميعا، فلا ينبغي ترك الظالم يتردى في الهلاك، لأن هلاكه سيتبعه هلاك لمن حوله، وتكون النتيجة الهلاك للجميع الظالم والمظلوم معا، وهو ما يأباه الإسلام، فهو يريد أمة تبقى وتستمر في قيادة هذا العالم، لا أن تهلك وتضيع، وأولى مقومات البقاء والاستمرار أن يكون العدل سائدا، ولا سيادة للعدل إلا بأن تقال كلمة الحق بلا مواربة ولا استحياء، وإنما بشفافية وأدب مع الآخرين، وأن تكون الأمة مبصرة ورقيبة لما يفعل بها، لا أن تكون أمة مسلوبة الكرامة كغثاء السيل كما حذر النبي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ في حديث آخر، وبهذا تكتمل الصورة الحقيقية لتصور الإسلام للعلاقة التبادلية بين الراعي والرعية والتي تقوم في أساسها على المناصحة والمحاسبة، والاحترام والمراقبة، وتقوى الله عز وجل في البداية والنهاية.

---

[1] – رواه الترمذي وأحمد والطبراني والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي في التلخيص، انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، (354/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فضيلة السلطان العادل

عن ابن عمر، أن النبـــي ﷺ قال: (إن السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مظلوم من عباده، فإذا عدل كان له الأجر، وعلى الرعية الشكر، وإذا جار كان عليه الإصر، وعلى الرعية الصبر). رواه البيهقي[1]

جاء الإسلام إلى العرب وجزيرتهم لم تعرف في معظم أرجائها سلطانا غـير سـلطان القبيلـة والعشيرة ونحو ذلك مما يقوم على دافع العرق والقرابة لا غير، ولا يمكن في هذه الحالة بسـط نفـوذ الشريعة في داخل الجزيرة العربية أو خارجها إلا بوجود السلطان، فضرورة وجود السلطان تستوجبها وحدة الأمة ومصالح دينها ودنياها على حد سواء.

وحتى يقوم السلطان بمهمته على أكمل وجه، ينبغي أن يكون عادلا، والعدل هو التزام القانون المتثل بدستور هذه الأمة وهو كتاب الله تعالى، دون لف ولا دوران، ومعاملة الرعية على قدم واحد من المساواة في حقوقها وواجباتها، وهو مأجور على العدل، ورعيته مطلوب منها أن تـؤازره وتعاضـده وتشكره على قيامه بالعدل.

وفي حالة الظلم يكون موزورا وعلى رعيته الصبر عليه، والصبر هنا بمعنى عدم الخـروج عليـه بالسيف، وهذا مبدأ حضاري عظيم تتحاكم إليه أعظم نظم العالم ديموقراطية اليوم، فهي تبيح للمواطن أن يعترض وأن يعبر عن رأيه دون الخروج على القانون وانتهاك أمن المجتمع، وهو مـا أراده التوجيـه النبوي الكريم بالصبر حرصا على وحدة الأمة وقانونها العام، ولم يرد به ترك أمره بالمعروف ونهيه عـن المنكر، لأن الأمة التي لا تنصح سلطانها أمة غاشة لذاك السلطان، وهـي لا تسـتحق إلا التـوبيخ لا الكرامة.

وصفوة الكلام أن قصة تاريخ البشرية كلها تدور حول السلطان والعدل والظلم، ولو اجتمـع للسلطان العدل لكان ظلا وأمنا وبردا وسلاما للعباد، وما لم يتوفر هذا له فيبقى وجوده خير من عدمه لما يحققه من بعض المصالح التي لا تتحقق في ظل الفوضى الاجتماعية والنظام القبلي، وقد قيل في هـذا الصدد: (سلطان عادل خير من مطر وابل، وسبع حطوم خير من وال غشوم)[2] وإنها لرؤية حضارية في أمور الملك لا تقل براعة عن أهم ما يسطره أئمة العلوم السياسية والاجتماعية في العالم اليوم.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1097/2).

[2] – فيض القدير، (143/4).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دين النظام والقانون

عن عبادة بن الصامت، قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم. وفي رواية: وعلى ألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا عنكم من الله فيه برهان. متفق عليه[1].

جاء الإسلام إلى العرب وهم يعيشون في بيئة أمية جاهلة لم تعرف شيئا من النظم الإدارية والمدنية مما لدى الأمم المجاورة وبخاصة الفرس والروم، و لم تكن هنالك سلطة مركزية في قلب الجزيرة العربية، وكان الولاء للقبيلة مكان الولاء للدولة، وقد استشعر بعض العرب هذا الفراغ السياسي، فحاولوا سده، وهذا يبدو في محاولة الأوس والخزرج ــ وهي قبائل يمانية الأصل وكانت تملك حسا حضاريا ــ تنصيب عبد الله بن أبي بن سلول ملكا عليهم قبل هجرة النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ إلى المدينة. وقد واجه الإسلام هذا الواقع، ودعا في أيامه الأولى إلى تكوين وحدة سياسية للمجتمع العربي المسلم، بحيث تكون هنالك دولة مركزية ذات قرار، ويلزم على أفرادها السمع والطاعة للأمير الذي يعينه النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ، قال العلامة علي القاري: (الأثرة: اسم من آثر، بمعنى اختار، أي على اختيار شخص علينا، بأن نؤثره على أنفسنا، كذا قيل، والأظهر أن معناه على الصبر على إيثار الأمراء أنفسهم علينا)[2].

وقد نهى النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ عن الخروج بحد السيف على هذا الأمير مهما تكن المبررات، اللهم إلا إذا أعلن الأمير الكفر البواح فلا سمع ولا طاعة آنذاك، لأن الأصل الباعث على طاعة الأمير هو أصل ديني، وطاعته من طاعة النبي الذي ولاه، فإذا خرج هو عن دين النبي الذي ولاه، لم يعد يستحق تلك الطاعة آنذاك، قال العلامة علي القاري: (والمعنى لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم، ولا تعترضوا عليهم، إلا أن تروا منهم منكرا محققا، تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم منهم ذلك فأنكروه عليهم، وقوموا بالحق حيثما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فمحرم بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين)[3].

ولذلك اعتبر الفقهاء كل دعوة للشغب على النظام الإسلامي العام، والخروج عليه بحد السيف، فتنة يراد بها تدمير كيان المجتمع المسلم، إذ لا ينبغي أن تتخذ السلبيات الاجتماعية وبعض الأخطاء والتجاوزات بحكم الطبيعة البشرية مما لا تخلو منه أمة مبررا للخروج على السلطة المسلمة، وذريعة لسفك الدماء، وتفكيك وحدة المجتمع، فالإسلام يريد أمة ذات سيادة وقانون، وإنما ينصح المخطئ ليعود إلى الصواب، وهذا هو المتبع في أعرق التجارب الديمقراطية في العالم، فهي تسمح بحرية القول،

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1086/2).

[2] – مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (200/2).

[3] – مرقاة المفاتيح، (201/7).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتمنع قعقعة السلاح، مما يؤكد سبق الإسلام للنظم والقوانين الحديثة، حين فرض سيادة القانون قبل أربعة عشر قرنا من الزمان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تنفيذ القانون على كل مواطن

عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: (أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم). رواه ابن ماجه.[1]

المساواة من أهم خصائص الإسلام، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، والمجتمع المتحضر هو الذي يقف فيه الحاكم والمحكوم والغني والفقير والحر والعبد والذكر والأنثى على قدم المساواة أمام القانون العام.

ولما كان الإسلام حريصا على التحضر والرقي والنظام العام، ويكره أن يكون حاكم أو زعيم فوق شعبه، أو أي مسئول فوق القانون، فقد طلب إقامة الحدود على الجميع بلا استثناء، رضي من رضي، وغضب من غضب.

وهذه النظرة الإسلامية هي نظرة حضارية على كل المستويات، حيث لم يراع النبي ﷺ في تطبيق الحدود سلطان القبائل أو العشائر أو القربى أو أي نوع من أنواع الوساطات مهما كان صاحبها عظيما، فلا شفاعة في حد من حدود الله، والكل أمام كتاب الله سواء.

ترى لو رآنا النبي محمد ﷺ الآن أما كان ينكر حالنا لما هي عليه مجتمعاتنا وقوانينا من الكيل بمكيالين، وتطبيق القوانين على المستضعفين دون علية القوم؟ لقد جاء النبي ﷺ بتعاليم واضحة كان يمكن لنا لو تمسكنا بها أن نكون أئمة الحضارة في العالم اليوم، لا أمة من الرعاع تعدو عليها الذئاب من كل حدب وصوب.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1065/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مراعاة العرف الدبلوماسي

عن نعيم بن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال لرجلين جاءا من عند مسيلمة: (أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما). رواه أحمد وأبو داود.[1]

عندما تعيش البشرية بلا مبادئ وقيم مشتركة فيما بينها تصبح الحياة غابة بمعنى الكلمة، وهو أمر ترفضه العقول المستنيرة فكيف بالأنبياء أصحاب وحي السماء.

إنه لا بد من إرساء تقاليد عامة بين الناس، فالناس قد يختلفون في العادات والتقاليد والأديان ولكن ثمة أعراف مشتركة يجب أن تصل بينهم جميعا،وهو ما نسميه العرف الإنساني والتقاليد الدبلوماسية.

وقد حرص النبي الكريم ﷺ على إرساء التقاليد الدبلوماسية وأسس التعامل مع الآخر، حتى لو كان ذلك الآخر عدو الله مسيلمة الكذاب، فقد احترم السفير المرسل من الطرف الآخر، و لم يوقع به أي أذى لأن التقاليد المتعارف عليها بين الناس بأن الرسل لا تقتل.

وعلى الرغم من أن الرسول ﷺ لم يكن ملكا، ولكنه كان نبيا هاديا ومعلما، فقد كان يعلم الملوك ونحوهم أسس التعامل مع الآخرين، فكثيرا ما يحطم الملوك الأعراف الدبلوماسية في سبيل مصالحهم وأهوائهم، ولكن الرسول الإنسان ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ ما كان ليغدر أو يغتنم الفرص السانحة لتحقيق مآربه الشخصية، بل أراد أن يعلم الناس جميعا أن الحياة هي الأخلاق، وأنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وذلك بإرساء القواعد الحسنة في التعامل بين الناس، فهو معلم الدين والدنيا، وهو أعظم مشرع لقوانين الحضارة والمدنية عبر التاريخ ﷺ.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1165/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شـــــــــورى لا استبداد

عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: (لو كنت مؤمرا من غير مشورة، لأمرت عليهم ابـــن أم عبد). رواه الترمذي وابن ماجه.[1]

يتحدث كثيرون عن فجوة في النظام السياسي في الإسلام، وذلك أن الإسلام لم يحـــدد آليـــة انتقال السلطة وانتخاب الحاكم ونحو ذلك، بينما نجده فصل في أمور كثيرة من العبادات والأخـــلاق اللهم إلا في هذا الأمر الجلل العظيم.

ومثل هذا الكلام نابع عن جهل بحقيقة الإسلام، وفراغ في تصورات صاحبه، فالإسلام جاء إلى الناس قاطبة، و لم يشأ أن يلزمهم بطريقة معينة من الحكم، ولكنه ألزمهم بالمعايير والقيم التي يجـــب أن يتحاكم إليها الحاكم والمحكوم على حد سواء من عدل ومساواة وضرورة قيام الحاكم بمصـــالح الأمـــة ونحو ذلك.

وأما طريقة انتخاب الحاكم فتركها للناس، و لم يلزمهم بطريقة معينة، وفي هذا مـــن الســـعة والحرية للعباد ومصالحهم شيء لا نظير له في الأديان الأخرى، فالمهم في الإسلام هو الشورى وعـــدم الاستبداد، فإذا رأوا أن مصالحهم تتحقق بصورة ما فلهم أن يأخذوا بها، وليس المهم أن يكون الحكـــم ملكيا أو جمهوريا وإنما المهم أن يكون عادلا، قال تعالى: (وقل آمنت بما أنـــزل الله وأمـــرت لأعـــدل بينكم)[2].

بمعنى آخر ليس المهم الأمور الشكلية في طريقة تعيين الحاكم، وإنما المهم أن يكون الحاكم جاء برضاء الناس واختيارهم، وقام بمصالحهم وخدماتهم.

وفي القرآن الكريم سورة باسم الشورى، وقد حددت منهج أصحاب محمد فيما بينهم، قـــال تعـــالى: (وأمرهم شورى بينهم)[3]، وانسجاما مع منهج القرآن الكريم أبى رسول الله أن يجعل الأمر مـــن بعـــده لأحد أصحابه وهو عبد الله بن مسعود، مع ما في اختياره ــ عليه الصلاة والسلام ــ مـــن حكمـــة عظيمة ورؤية ثاقبة، ولكنه آثر ــ عليه الصلاة والسلام ــ أن يعلمهم منهج الشورى بنفسه، فلم يؤمر على أمته أحدا من بعد موته بشكل صريح احتراما لإرادة الأمة، وتحقيقا لمبدأ الشورى، حيث تقـــدر الأمة من تراه الأجدر بمصالحها فتبايع له.

إن الإسلام لا يقر بحال من الأحوال التعدي على المبادئ الخالدة من شورى وعدالة ومســـاواة ونحو ذلك، وقد مارس الرسول ﷺ تطبيق هذه المبادئ بنفسه، وأمر أمته بالالتزام بها لتكون خير أمـــة أخرجت للناس، أمة تداول فيها الخلفاء الراشدون السلطة لأول مرة في التاريخ خارج نطاق الوراثة التي اتبعتها نظم الأرض كلها في ذلك الزمان.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1755/3).

[2] – سورة الشورى، الآية (15).

[3] – سورة الشورى، الآية (38).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دين القوة والفروسية

عن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومُنبله، فارموا، واركبوا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا، كل شيء يلهو به الرجل باطل، إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته امرأته، فإنهن من الحق). رواه الترمذي وابن ماجه، وزاد أبو داود والدارمي: (من ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه، فإنه نعمة تركها). أو قال: (كفرها)[1].

الإسلام دين واقعي في تشريعاته كلها، وإن من واقعيته أنه لم يجعل المسلمين يتكلون على قوة الله المعجزة وحدها لكي تنصرهم، ولكن أمر بالاستعداد والقوة والتدريب والجهاد حتى يغيظوا العدو وينالوا منه بأيديهم، ويتزل الله تعالى نصره عليهم بعد ذلك حين يتوكل المؤمنون عليه وقد أخذوا بكامل الأسباب.

وأعداء الإيمان لا يؤمنون إلا بالقوة المادية المحسوسة، ولذلك فهم يخشون المسلمين المجاهدين أكثر من خوفهم للخالق العظيم، لأن مداركهم الضيقة لم تستوعب بعد أن عالم الغيب حق كما هو عالم الشهادة، وأن الله سبحانه هو المهيمن على الكون كله غيبه وشهادته، وقد أشار الله سبحانه إلى تهافت التصور الجاهلي بهذا الصدد فقال تعالى: (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون)[2]

وانطلاقا من ضرورة الأخذ بالأسباب، فقد حث النبي الكريم ﷺ أمته على الأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية، وهذا الحديث يندرج تحت أسباب القوة المادية، حيث بين الرسول ﷺ أن السهم سبب لدخول الجنة لثلاثة نفر، وهم:

الأول: صانعه يريد بصنعته وجه الله ومثوبته، وأن يستخدم هذا السهم لردع أعداء المسلمين.

والثاني: الرامي به محتسبا وجه الله تعالى، لا رياء ولا سمعة.

والثالث: منبله (بتشديد الباء الموحدة ويخفف) أي مناول النبل، وهو السهم سواء كان ملك المعطي أو الرامي.

فهؤلاء الثلاثة يدخلون الجنة بسبب سهم واحد!

ثم أمر النبي ﷺ بالرمي والركوب، والجمع بينهما، ويكون الركوب بتأديب الفرس، والتمرين عليه، قال الطيبي: (عطف [واركبوا] يدل على المغايرة، وأن الرامي يكون راجلا، والراكب رامحا، فيكون معنى قوله: [وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبوا] أن الرمي بالسهم أحب إليَّ من الطعن بالرمح). وقد تعقبه العلامة القاري فقال: (والأظهر أن معناه أن معالجة الرمي وتعلمه أفضل من تأديب الفرس وتمرين

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1137/2).

[2] – سورة الحشر، الآية (13).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ركوبه، لما فيه من الخيلاء والكبرياء، ولما في الرمي من النفع الأعم، ولذا قدمه تعالى في قوله: [وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل][1])[2].

وما نعتقد صوابه هو ما ذهب إليه الإمام الطيبي، لأن الحرب تقتضي الرمي والركوب، فلا بد من التكامل بين عمل الرامي والراكب، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، ولذلك نصت الآية الكريمة على القوة ورباط الخيل معا، وأما الخيلاء والكبرياء فهي محمودة في أيام الحرب دون السلم، لأنها تهب المؤمن طاقة نفسية وتزرع الرعب في قلوب أعدائه، وكان من عادة أبي دجانة رضي الله عنه أنه يختال عند الحرب، ويتبختر بين الصفين، ولذلك قال النبي ﷺ لما رآه يتبختر يوم أحد: (إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن)[3].

ولعل سبب تفضيل الرمي على الركوب لأنه أكثر يسرا وسهولة، ومراعاة لأحوال المسلمين الذين لم يكن لهم من الخيول عدد كبير كما كان لعدائهم، ففي يوم بدر لم يكن معهم إلا فرسان، واحدة للزبير بن العوام، والأخرى للمقداد بن الأسود الكندي، ثم بين الرسول ﷺ أنواع اللهو المباح، وقد عقب عليها القاري بقوله: (وفي معناها كل ما يعين على الحق من العلم والعمل، إذا كان من الأمور المباحة، كالمسابقة بالرجل والخيل والإبل والتمشية للتنزه، على قصد تقوية البدن، وتطرية الدماغ، ومنها السماع إذا لم يكن بالآلات المطربة المحرمة)[4].

واللهو المباح يؤجر عليه العبد إن شاء الله، ومنه الرمي بالقوس والتأديب للفرس بإعدادها للحرب وتدريبها على الجري ونحو ذلك، ولكن لماذا أقحمت عبارة (وملاعبته لزوجته) هنا، مع أن الحديث عن الغزو والجهاد؟

يبدو والله أعلم أن هنالك نوعا من العلاقة بين الحرب والمرأة، أليست الحرب دفاعا عن الحرمات؟ ومن ذلك الأعراض. ثم أليست المرأة شريكة الرجل في حربه، تداوي الجرحى، وتسقي الماء، وربما شاركت بنفسها بالحرب كما فعل بعض الصحابيات في غزوة أحد وغيرها؟

وكذلك أليس الإنسان جسدا وروحا، فإذا تعب بدنه تعبت روحه، وبالعكس، فإذا آوى إلى زوجته ولاعبها استراح قلبه وهدأت روحه ودبت فيه الطاقة والحركة من جديد، فاستعد للرياضة والرمي ونحو ذلك، لذا عقب النبي الكريم ﷺ حديثه عن الرمي وتأديب الفرس بملاعبة الرجل زوجته، وقد عقب العلامة القاري بذكر بعض الرياضات التي لها حكم ما سبق، أي يثاب العبد عليها بعون الله، وذلك انطلاقا من تصوره بضرورة إعطاء حق الجسد للجسد، وحق الروح للروح، فلا فصام بينهما، ولا تقديم لأحدهما على الآخر، لأن الإنسان وحدة واحدة مكونة من امتزاج الروح بالجسد امتزاجا لا يمكن الفصل فيه بينهما إلا عند الموت.

وقد نهى النبي الكريم ﷺ عن ترك الرمي بعد تعلمه، فهو يريد من المؤمن أن يكون راميا ماهرا جاهزا لنداء الجهاد في لحظة، ويريده أن يكون فارسا يذود عن الحرمات ويحفظ الأعراض، ويريده

---

[1] – سورة الأنفال، الآية (60).

[2] – مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (318/7).

[3] – السيرة النبوية، لابن هشام، (150/3).

[4] – مرقاة المفاتيح، لعلي القاري، (318/7).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن يكون قويا في بدنه وجسمه وروحه، آخذا بأسباب القوة، بعيدا عن الضعف، لأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير كما ذكر النبـــي ﷺ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: (انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخا فانيا، ولا طفلا صغيرا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا فـــإن الله يحب المحسنين). رواه أبو داود[1].

الحرب في الإسلام لها أسبابها وظروفها، وقواعدها وأحكامها، وأهدافها ومقاصدها، وشروطها وآدابها، فهي ليست لقهر الآخرين على تغيير أديانهم، أو نهب ثرواتهم، أو جلد ظهورهم، وإنما لإزاحة الطواغيت الذين يقفون حائلا بين عيون الناس ونور الدعوة، ولا يفقهون إلا بأسلوب الضغط والقهر، والسيف والمكر، ويخشون من المؤمنين أكثر من خشيتهم من رب العالمين، فهم كما قـــال الله عنـــهم: (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون)[2]

وانطلاقا من التصور الإسلامي للحرب الذي يعتبر الحرب وسيلة وليست غاية، وغالبـــا مـــا يستجر إليها المسلمون ويدفعون إليها دفعا من أعدائهم المتربصين بهم، فإنه شرع آدابا وقيما للحـــرب، من رحمة للآخرين من قوم أعدائهم الذين يحاربونهم كالشيوخ والأطفال والنساء الذين لا يســـتطيعون حمل السلاح أو تحمل تبعات الحرب، لذا نهى النبـــي الكريم ﷺ عن قتلهم وإيذائهم، وأمر بالإحسان إليهم والبر بهم، كما شرع قيما لأبنائه المسلمين فأمرهم بأن لا يتنافسوا على جمع الغنائم أو يتـــهالكوا عليها إلى حد الخصومة أو الخيانة أو تبادل الاتهامات بشأنها، وأمر بجمع الغنائم وتوزيعها كما أراد الله، ثم طلب عقب هذا كله بالإحسان في الحالتين، مع العدو المحارب والصديق المشارك، ليكون جنـــود الله متميزين في كل أحوالهم عما سواهم من الأمم، فتكون العلاقة بين المحاربين المؤمنين علاقة أخوة ومحبة وصداقة، والعلاقة مع الأعداء كعلاقة المنقذ مع الغريق، أو الطبيب مع المريض، يستأصل الورم ليحافظ على حياة المريض، و لم يكن جنود الإسلام عبر تاريخه الطويل إلا دعاة الخير والإنقاذ للبشرية في سرائها وضرائها معا.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1156/2).

[2] – سورة الحشر، الآية (13).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رفض الأسلوب القمعي

عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن هشام بن حكيم مر بالشام على أناس من الأنباط ــ فلاحة الأعاجم ــ وقد أقيموا في الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟. قيل: يعذبون في الخراج. فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا). رواه مسلم[1].

وكان يصب على رؤوسهم الزيت الحار بسبب تحصيله أو أدائه[2]

الرحمة من خلق الإسلام في الدنيا والآخرة، والله الذي نمجده في الصلوات وسائر العبادات من أخص صفاته الرحمة، فهو رحمن رحيم في الدنيا والآخرة، والمسلم عليه أن يتخلق بخلق الرحمة، فالله تعالى يكره كل جبار وظالم متكبر، واول من يستحق الرحمة هو الإنسان، وقد راعت كافة التشريعات الدينية هذا الأمر، كما أوجبت درء الحدود حرصا على تجسيد خلق الرحمة.

وهذه الحقيقة قد تغيب على كثير من المستخدمين والقائمين على شئون الدولة الإسلامية، فيظنون أن جلب الثروة للدولة عن طريق الخراج أو الضرائب مقدم على حقوق الإنسان، فيأخذون الناس بالتهم، ويعاملونهم بالقسوة، وهم يظنون أن يحسنون صنعا، لأنهم يجمعون المال للدولة الإسلامية ناسين حقيقة مهمة، وهي أن هذا المال إنما يجمع لينفق في مصالح البلاد والعباد، فلا يصلح أن يكون ما هو سبب في سعادتهم سببا في شقائهم يضربون من أجله ويعذبون تحت الشمس المحرقة كما رأى ذلك الصحابي فاستنكره أشد الاستنكار، وبين أن العذاب لاحق بمن يعذب الناس في الدنيا، لأن الله لا يقبل العذاب والأذى لعباده لأي سبب من الأسباب.

ترى متى يصحو الناس في عالمنا اليوم ليدركوا حقيقة كان قد أرساها النبي محمد ﷺ قبل خمسة عشر قرنا من الزمان؟ وهي أن الإنسان مقدم على المال، وهو أهم من ثروات الأرض جميعا، فلا ينبغي للبشرية لو كانت حقا في عصر التقدم والرقي أن تقيم الحروب التي تذهب ضحيتها الملايين من البشر في مشارق الأرض ومغاربها من أجل الثروات المادية والمنافع الزائلة التي أصبح وقودها هذا الإنسان.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1054/2).

[2] – انظر: مرقاة المفاتيح، للقاري، (95/7).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحدة المجتمع المسلم

عن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار). قلت: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصا على قتل صاحبه) متفق عليه.[1]

من الأسس التي حرص النبي ﷺ على تأكيدها في المجتمع المسلم تأكيد الأخوة بين أفراد ذلك المجتمع، والنأي به عن كل أسباب الصراعات والفتن التي تمزق وحدته، وتذهب قوته وبهاءه.

وقد حرم الرسول ﷺ الاقتتال بين المسلمين تبعا لتحريم القرآن لذلك، وإذا تم الاقتتال وجب على بقية المسلمين المصالحة بين المتقاتلين، فلا ينبغي أن تدوم العداوات أو أن تأخذ أكبر من حجمها الطبيعي لتمزق جسد الأمة، قال تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين).[2]

وفي سبيل تجسيد وحدة المجتمع المسلم، ودرءا لأي فتنة، يأتي هذا الحديث محذرا ومتوعد كلا من القاتل والمقتول بالنار، فالقاتل ارتكب جريمة القتل، وكذلك المقتول كان في نيته ارتكاب جريمة القتل أيضا، على عكس ما لو كان القتال ضد المشركين، فإن المقتول يكون شهيدا في الجنة.

إن رفض الانخراط بالفتن الداخلية والاقتتال بين أبناء الأمة الواحدة، والمجتمع الواحد، هو ما تحرص عليه قوانين المدنية اليوم، وذلك لأن أساس نهضة أي أمة تبدأ بتحقيق السلم الاجتماعي أولا، وهو أمر كان رسول الله قد أرشدنا إليه من قبل، روى أهبان، قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كانت الفتنة بين المسلمين، فاتخذ سيفا من خشب) رواه ابن ماجه والترمذي[3]، والسيف من خشب كناية عن عدم الانخراط في الفتن الداخلية، وهذا هو الموقف الذي ينبغي أن يتخذه العاقل عند الفتن وهو الحياد بين المتحاربين، والسعي لجمع الصف ووحدة الكلمة والإصلاح بين المتحاربين، لأن السلم هو أساس المجتمع المدني وعليه تقوم الحياة.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1051/2).

[2] – سورة الحجرات، الآية (9).

[3] – فيض القدير، (429/1).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلسفة الحرب

عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: (الحرب خدعة) متفق عليه[1].

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، وجوامع الكلم هي واحدة من خمسة خصائص للنبي العربي لم يشاركه بها نبي غيره، وقد فضله الله بها على من سواه من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. ويلخص هذا الحديث قصة الحرب من بدايتها إلى نهايتها، أو فن الحرب في المصطلح الحديث، فالحرب وإن كانت تقوم على العدة والعتاد، والجنود ذات الأعداد، والخبرة القتالية، والتعبئة العامة، والحوافز والطموحات، إلا أنها قبل هذا كله، أو بعده كله، هي خدعة، أي هي فن يعتمد على أسلوب المباغتة وتحطيم قوة العدو في أقصر وقت ممكن، وأقل عدد من الخسائر، فهي في الأول والآخر لعبة العقل الذكي الذي يتمكن من تحقيق النصر بأيسر الطرق والأساليب.

والخدعة تشمل معان كثيرة، فهي تشمل المفاجأة والمباغتة للعدو، أي التحكم بتوقيت البداية الحقيقية للمعركة، فتفرض على العدو توقيتا لا يريده هو، أو ليس مستعدا فيه، ويكون هذا أحد أسباب النصر.

كما تشمل أيضا: التحكم بموقع المعركة، باستجرار العدو إلى ساحة لا يريدها، أو إلى موقع لا يحبذ القتال فيه، والتحكم في ساحة المعركة هو من أسباب النصر أيضا، وربما رأى القائد البارع عدم مواجهة العدو الكثيف، فتحصن في مواقعه، وتخندق فيها، كما فعل النبي الأعظم ﷺ يوم الأحزاب، وربما اختار خطة للانسحاب، إذا كان في ذلك سلامة له ولجيشه، كما فعل خالد يوم غزوة مؤتة، أو قد يقرر العودة للمعركة بعد الانسحاب منها كما فعل خالد يوم أحد، حيث رأى في تغيير مواقع الرماة من المسلمين وانصرافهم عن الجبل الذي كانوا يقفون عليه فرصة لتحقيق النصر، فعاد وكر عليهم بعد انسحابه من المعركة.

وتدخل الخدعة أيضا في تضليل العدو، وكتمان الأسرار والتحركات عنه، وكان النبي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها، حفظا على سرية الحركة للجيش المسلم، كما تدخل أيضا في استكشاف قدرات العدو، بإرسال العيون والطلائع التي تأتي بالأخبار للقائد عن قدرات عدوه، وتدخل الخدعة أيضا بالتحالفات الاستراتيجية، واكتساب بعض الأصدقاء أو تحييد بعض الأعداء، ونذكر بهذا الصدد أن قبيلة خزاعة دخلت بعهد النبي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ يوم الحديبية، بينما دخلت بنو بكر في عهد قريش، كما تدخل الخدعة بالمفاوضات والهدنة، ولا نعني بالخدعة هنا التضليل ونكث العهود، وهو ما يرفضه الإسلام، ولكن المقصود بالخدعة هنا الذكاء والقدرة على إملاء شروط المنتصر، والمفاوض الناجح هو الذي ينتزع من أعدائه أكثر ما يستطيعه من مكاسب مادية ومعنوية، هكذا وصف النبي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ حقيقة الحرب بكلمة واحدة لينبه أتباعه إلى ضرورة الاستفادة من طاقات العقل والتفكير في قيادة المعارك، والتي قد توفر عليهم الكثير من الجهد والتضحيات.

---

[1] – مشكاة المصابيح، (1153/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النجاشي رمز العدل

عن أبي هريرة، أن النبـــي ﷺ نعى للناس النجاشي اليوم الذي مات فيه، وخـــرج بهـــم إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربع تكبيرات. متفق عليه[1].

النجاشي مثال للحاكم العادل الذي لا يظلم الناس عنده، وهو صاحب يد بيضاء على الدعوة الإسلامية، حيث كانت أول هجرة يهاجرها المسلمون باتجاه الحبشة التي يحكمها النجاشي، وقد هاجر المسلمون إليها بأمر النبـــي ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ مرتين:

الأولى: في رجب من سنة خمس للنبوة، وكان فوج الهجرة مكونا من اثني عشر رجلا، وأربع نســـوة، رئيسهم عثمان بن عفان، ومعه السيدة رقية بنت الرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ، وهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام، وقد رجعوا إلى مكة في شوال من نفس الســـنة، بعد أن بلغهم بأن قريشا أسلمت، وغيرت موقفها من الدعوة الإسلامية، بيد أن الخبر لم يكن صحيحا.

والثانية: وكانت بعد الهجرة الأولى حين اشتد أذى قريش على المسلمين، وهاجر فيها ثلاثة وثمـــانون رجلا، وثمان عشر أو تسع عشر امرأة، وقد عاد هؤلاء على إثر بعث الرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري يطلب توجيههم إليه، فأرسلهم النجاشي على مركبين، وكان ذلك في السنة السابعة للهجرة.

وقد حاولت قريش استرداد المهاجرين، فبعثت رجلين جلدين من رجالها وهما: عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته، ثم بعثوهم إليه فيهم، ولكن النجاشي كان عاقلا حكيما، فحين استمع إلى مقالة وفد قريش، أرسل إلى المهاجرين ودعاهم، وكان الذي كلمه جعفر، فلما استمع إليه، وحصحص الحق، أعطاهم النجاشي الأمان، وقال لمن حوله: (ردوا عليهمـــا هداياهم، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليّ ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ، فأطيعهم فيه)[2].

إن مثل هذا الرجل العظيم، الذي آوى المسلمين الأوائل ووفر لهم الأمـــن في فجـــر الـــدعوة الإسلامية، ثم اعتنق الدين الحنيف بعد ذلك، لجدير بأن يصلي عليه الرسول ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ صلاة الغائب، وأن ينعاه للناس، فالوفاء من خلق صاحب الرسالة العصماء، والجزاء من جنس العمـــل كما يقال.

والنجاشي كظاهرة حضارية نادر أن يتكرر، وقد وجدت من يزعم بأن الدول التي استعمرت بلاد الإسلام وساندت إسرائيل هي تمثل موقع النجاشي اليوم لوجود الحرية فيها، وأن الدعاء واجـــب لنجاشيي [هكذا بالجمع] هذا الزمان، وأن المسلمين ليس فيهم أنصار، أسمع هذا كله ودم محمد الـــدرة والطفلة آمنة لم يجف بعد، ودماء المسلمين تراق في مواقع كثيرة بفعل الكيد الاســـتعماري الخبيـــث،

---

[1] – مشكاة المصابيح، (522/1).

[2] – السيرة النبوية، لابن هشام، (88/2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأستهجن ما أسمع، لأن الغرب أقرب إلى المسيح الدجال الذي يمارس السحر والشعوذة، فيخدع عيون المضللين من أتباعه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رسالة الأديب المسلم والإعلام الإسلامي

عن البراء، قال: قال النبي ﷺ يوم قريظة لحسان بن ثابت: (اهج المشركين، فإن جبريل معك) وكان رسول الله ﷺ يقول لحسان: (أجب عني، اللهم أيده بروح القدس) متفق عليه[1].

الكلمة الجميلة الساحرة المؤثرة أمضى الأسلحة عبر التاريخ، وقد استخدمها الأنبياء والمرسلون، والدعاة والمصلحون، والشعراء والكتاب، وجميع المعنيين بتطوير الفكر الإنساني وتوصيل رؤاهم للآخرين، استخدمها هؤلاء جميعا لتحمل أفكارهم وتحقق غاياتهم التي يسعون لها. والكلمة الجميلة قد تكون شعرا عذبا كما هو الحال في شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه، أو نثرا رائعا كما هو في البلاغة النبوية، أو كلاما معجزا خالدا لا هو بشعر ولا بنثر كما في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتتقاصر أمام بلاغته الأعناق، وتنقطع ألسنة الفصحاء، عجزا عن الإحاطة بمكنون نظمه، أو المجيء بمثل أسلوبه. والكلمة الجميلة في الإسلام تتميز عما هي في الآداب والفنون، فهي بالإضافة إلى جمالها، لا بد أن تكون سامية الهدف، صادقة الإحساس، نبيلة المحتوى، وهو ما لا تشترطه الفنون والآداب بعامة، ولا سيما أصحاب المذهب الجمالي والفن للفن ونحو ذلك، فهم لا يبحثون عن شيء سوى الجمال الأدبي، ولو كانت الكلمة تحمل في طياتها زورا من القول، أو فسادا من الرؤى، أو نوعا من التخدير والتضليل. فالكلمة في الإسلام سلاح له بريقه من جهة، وله غايته المحددة من جهة أخرى، فهي لنشر الدعوة والذود عنها، والوقوف أمام أعدائها وخصومها، ودحض شبهاتهم، وتفنيد مفترياتهم بحق الكتاب الخالد والنبي الكريم ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ. ولقد كان حسان بن ثابت رضي الله عنه رائد الأدب الإسلامي، وعمدة الأدباء المسلمين على مر الدهور، فقد ذاد عن النبي الكريم ﷺ بلسانه بما هو أمضى من السيوف القاطعة، وأفتك من الرماح والأسنة، وكيف لا يكون كذلك وقد دعا له النبي ﷺ بالتأييد والتثبيت من جبريل مباشرة ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ؟ وقد توالى الشعراء من بعده يقلدونه في هذا المنحى ويتبعونه في منهجه الذي استنه، من تبشير بالدعوة ومدح لنبيها الكريم وصحبه الكرام، وتنديد بمثالب الجاهلية وعيوبها، وهجاء لقادتها الذين حاربوا الله ورسوله. ونمت شجرة الأدب الإسلامي عبر الأيام، إلى أن جاء العصر الحديث بهمومه ومشكلاته، فتفجر بركان الشعر والنثر معا من جديد، وانطلقت ألسنة الشعراء والكتاب تذود عن هذه الأمة وقضاياها أمام طوفان الاستعمار والعولمة والصهيونية وغير ذلك من التحديات، وأكثر هذا الأدب يحمل روحا إسلامية، وينطلق من عاطفة دينية حقيقية، فلنستثمر نتاج هؤلاء في تربية النشء الصالح القادر على المضاء برسالة أمته نحو الثريا، ولنعاضد الأدب الهادف الذي يريد البناء لا الهدم، ويريد الخلق لا الانحلال.

---

[1]- مشكاة المصابيح، (1351/3).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المـــــــــــــــــــراجع

1. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربيـــة، بـــيروت، الطبعة الثالثة، 1392هـ/1972م.
2. أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.
3. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1389هـ / 1969م.
4. تاريخ الخلفاء، للسيوطي، دار الفكر، بيروت.
5. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، ضبطه عبد الرحمن محمد عثمان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1414هـ/1993م.
6. السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيـــق طـــه عبـــد الـــرءوف ســـعد، دار الفكـــر، بـــيروت، 1409هـ/1989م.
7. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1394هـ/1974م.
8. جواهر الأدب، للهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثلاثون.
9. دلائل الإعجاز، للجرجاني، تحقيق محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
10. ديوان أبي العتاهية، دار صادر، بيروت، الطبعة الولى، 1418هـ / 1998م.
11. ديوان أبي فراس الحمداني، شرحه د. علي بو ملحم، دار الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م.
12. ديوان حسان بن ثابت، تحقيقي د. سيد حنفي حسنين، دار المعارف، القاهرة.
13. الروض المربع شرح زاد المستقنع، للبهوتي، دار الفكر، بيروت، الطبعة السادسة.
14. شرح حماسة أبي تمام، للشنتمري، تحقيق د. علي المفضل حمودان، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الطبعة الأولى، 1413هـ / 1992م.
15. الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، مكتبة المعارف، بيروت.
16. مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، أحمد قبش، دار الرشيد، دمشق، الطبعة الثالثة، 1405هـ / 1985م.
17. مختارات البارودي، مشروع المكتبة الجامعة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1404هـ.
18. مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، 1402هـ/1981م.
19. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، المكتبة الإمدادية، باكستان.
20. مشكاة المصابيح، للتبريزي، بتحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م.
21. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

22. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة الحديثة، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت.
23. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الفكر.
24. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهـــــــــــــرس

مقدمة

المبحث الأول: قضايا روحية

المبحث الثاني: قضايا العبادات

المبحث الثالث: الشعوب والجنسيات

المبحث الرابع: الحياة الاجتماعية

المبحث الخامس: شئون اقتصادية

المبحث السادس: شئون سياسية

المراجع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة